رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2329) السنة التاسعة الاحد
(11) كانون الاول 2011

أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

معارك الأدباء ليست بالكلمات فقط

امبيرتو ايكو: "لقد ضجر الناس من الامور البسيطة"

كيف غيرت السياسة أفكار داروين؟

دليل القارئ إلى الثقافة الجادة

صوفي مارسو طفلة السينما

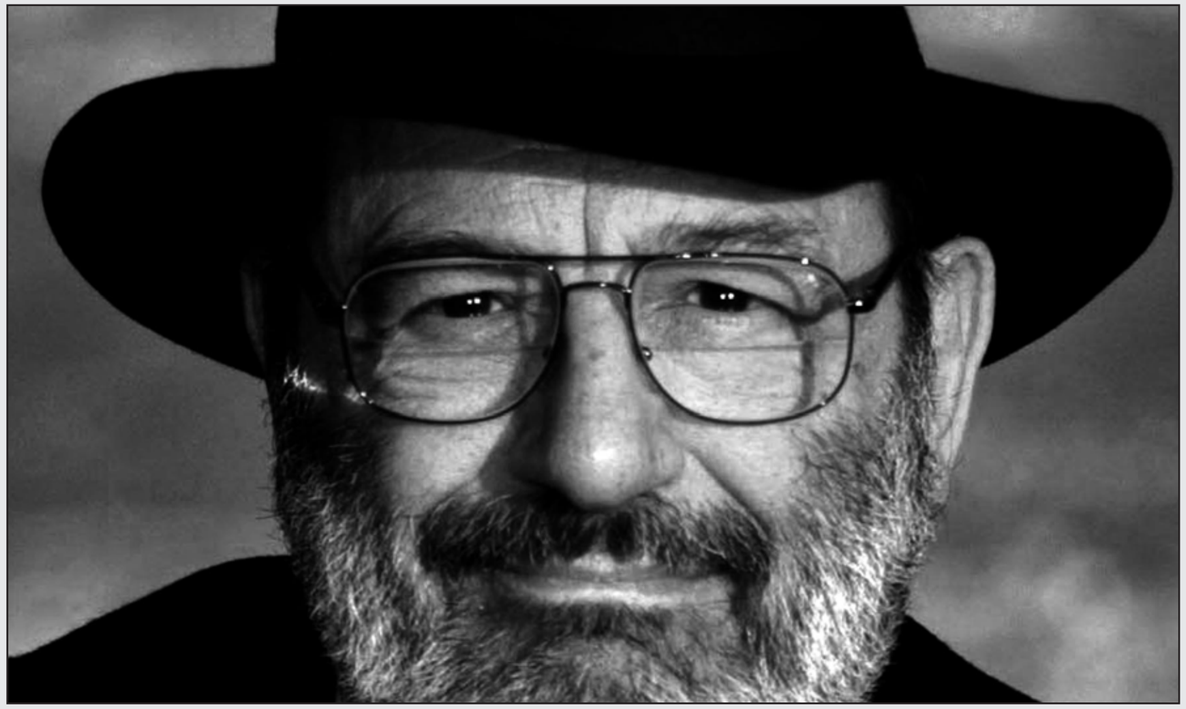

امبيرتو ايكو: "لقد ضجر الناس من الامور البسيطة"

روايته الاخيرة مقبرة براغ وبروتوكلات حكماء صهيون

ترجمة: ابتسام عبد الله

يقول امبيرتو ايكو، مولف " باسم الوردة "، "لقد انتهت محنتي"، في الحديث الذي نشرته صحيفة الغارديان وايكو ـــ الفيلسوف، السيميائي، الروائي وجامع الكتب النادرة، كان يقوم بجولة حول العالم عشرين عام يوما من اجل الترويج لروايته الاخيرة، " مقبرة براغ ". ويقول عن تلك الرحلة: احيانا لم اكن اعرف في اي مدينة كنت.

وايكو الذي سيبلغ الثمانين في خلال هذا الشهر، يبدو اقل من عمره، انه مرح ويتمتع بالنشاط، يمضغ السيجار الرفيع، طول هذه المقابلة، لانه قد ترك السيكارة منذ ثمانية اعوام، ولكنه مايزال يحب وضع سيجارا في فمه املا ان ينفذ شي من النيكوتين الى داخله.

وعندما قيل له ان روايته الجديدة تعتبر عودة الى اسلوبه التقليدي، ينفي ذلك تماما.

و"مقبرة براغ" رواية تدور احداثها في القرن التاسع عشر، يتتبع المولف عبرها مصير المزيف المعروف سيمون سيمونيني، الذي كانت له يد في معظم الاحداث الكبيرة في تلك المرحلة (الوحدة الايطالية، الحرب الفرنسية، البروسية، كومونة باريس وقضية دريفوس).

ان قراءة هذه الرواية بالانكليزية مرهقة، وهي ربما افضل بلغتها الاصلية الايطالية.

وان كانت الرواية او لم تكن عودة التقليد، فهي بالتأكيد عودة الى موضوع ايكو المفضل – المؤامرات. وتقدم شخصية سيمونيني، هنا كمؤلف، حكماء بني صهيون في اوائل القرن العشرين، وهو كتاب مزيف يتناول تفاصيل مؤامرة يهودية تهدف الى السيطرة على العالم.

وهذا الكتاب بعد طبعه في روسيا عام ١٩٠٣، بيعت كميات كبيرة منه كما صدقه الناس، على الرغم من كونه منتحلا من عدة مصادر خيالية. وقد استشهد به هتلر عدة مرات، ومايزال سمه ساريا في الوقت الحالي.

ويربط ايكو مقاطع مما هو معروف عن اصل ذلك النص، ويقدم كسيمونيني كشخصية لا أخلاقية: ايطالي يعيش في باريس ومبدع لاشد الاعمال المزورة شراً.

وفي اعمال امبرتو ايكو بشكل عام نجد المؤامرات، والبروتوكولات كانت يرد ذكرها في اعماله، خاصة في روايته الثابتة "بندول فوكو"، فماذا تشغل، البروتوكولات" ذهنه؟

ويقول ايكو ردا، "انا كباحث مهتم بفلسفة اللغة، السيميائية، قل عنه ما تشاء، اجد ان احدى سمات لغة الانسان هي القدرة على الكذب فالكلب لا يكذب والحيوانات لا تكذب ولكن الانسان يفعل ذلك. ومن الاكاذيب الى التزييف خطوة ليست بالطويلة وقد كتبت عدة مقالات عن منطق المزيفين وتأثير الزيف على التاريخ كما اجد ان اشهر الموضوعات المزيفة واسوأها هي البروتوكولات".

ويقول ايكو ان المؤامرات لا تجذبه ولكن جنون الاضطهاد والارتياب الذي يجعلها تزدهر. وهناك مؤامرات صغيرة تم كشفها، ولكن جنون المؤامرة العالمية اشد تأثيرا وقوة، لانه اغراء سايكولوجي لأنواعنا.

وقد كتب كارل بوبر مقالاً عن ذلك قال فيها ان هومر كان اول من ابتدعها: "ان كل ما يحدث في طروادة، قد حيك قبل يوم من قبل الالهة، فوق قمة اوليمبوس. وهذا الاسلوب هو تهرب من الاحساس بمسؤولية ما يحصل. ولذلك الامر يلجأ الديكتاريون الى استخدام فكرة "المؤامرة العالمية" كسلاح في ايديهم وفي السنين الاولى من حياتي، درستي فاشيستيون في المدرسة لمدة ١٠ اعوام، وهم ايضا لجأوا الى المؤامرة العالمية والتي قالت ان الانكليز واليهود والرأسماليين يتآمرون ضد الشعب الايطالي. وكان الامر نفسه بالنسبة لهتلر. وقد امضى بيرليسكوني حملاته الانتخابية كافة متحدثا عن المؤامرة الثنائية للحكام والشيوعيين، مع العلم ان لا وجود للشيوعيين من حولنا، ولكنهم بالنسبة له، يخططون لتسلم السلطة.

كان امبرتو ايكو على الدوام من المؤيدين لليسار السياسي وقد عارض سياسة بيرلسكوني منذ انتخابه للبرلمان للمرة الاولى في منتصف التسعينيات.

وهو سعيد الان لسقوط ، "صاحب الحفلات" ويحذر من عودته ثانيا بعد الانتخابات التي ستجري في ١٩١٣.

ويتسائل ايكو، "كيف ينتخب مثقف وذواق للفنون مهرجا مثله؟". وفي رأيه ان بيرلسكوني كان ضد المثقفين، وقد تفاخر عدم قراءته لاي رواية في خلال ٢٠ سنة. وكان هناك نوع من الخوف ان يصبح المثقفون سلطة نقدية، ولذلك حدث الصدام بين الطرفين.

ولكن ايطاليا ليست مثقفة، ففي انفاق اليابان، نجد كل واحد يقرأ في كتاب، بينما لا نجد ذلك في ايطاليا. علينا ان لا نقيم ايطاليا لانها قدمت رافييل ومايكل انجلو.

ورواية ايكو الجديدة قد هوجمت من البعض كونها، "ضد السامية"، ولكنه يقول ان البروتوكولات يمكن العثور عليها بسهولة عبر (الانترنت). وانا غير مسؤول ان قرأ الرواية شخص احمق. لقد قال الرهبان الكاثوليك من قبل، "لا تقطعوا رواية مدام بوفاري للشابات، لانها ستفسد اخلاقهن.

فهل يا ترى قد اقلق ايكو، ان روايته السادسة التي كتبها منذ، "باسم الوردة" في اوائل الثمانينيات قد لقيت ترحيبا مشوشا؟ ويجيب قائلا: ان المرء يصدم لمدى تباين النقاد. وفي رأيي انه لا يمكن الحكم على كتاب الا بعد مرور عشرة اعوام على صدوره، بعد قراءته مرات لقد وصفت اعمالي كونها ذات فعالية في الفلسفة وصعبة الفهم. وعندما كتبت رواية باسلوب بسيط وهي "التوهق الغامض للملكة لونا" كانت الأقل مبيعا ان النقاد والناشرين وحدهم يريدون اعمالا سهلة لقد ضجر الناس منها افهم يريدون التحدي".

وايكو، عمل في التدريس الجامعي حوالي ٣ عاما، اضافة الى كتابة برامج ثقافية للتلفزيون، وكان يعمل محررا في تلفزيون ميلان، قبل نشر، "باسم الوردة"، ولماذا اتجه بعد ذلك الى الرواية؟

ويقول ايكو ان الامر تم بالصدفة. فقد سألت صديقته ان يكتب رواية بوليسية لسلسلة تريد نشرها. وقال لها، ان فعل ذلك فستكون عن القرون الوسطى وحجمها بـ ٥٠٠ صفحة، املأ انصرافها عنه، وهذا ما حدث. ولكن فكرة الرواية ترسخت في ذهنه، وهكذا ولدت ظاهرة جديدة.

ويقول ايضا، انه حتى من دون صديقته واقتراحها، كان يرغب في كتابة الرواية، اذ ان فكرة، تسميم راهب"، قد راقت له.

ويضيف ايضا، "لقد كتبت القصص وبدايات روايات وانا ما بين سن الـ ١٠- ١٢، ثم انتقلت الى المقالات. كنت اروي القصص لاطفالي وعندما كبروا لجأت الى الكتابة. ان ما حصل لي اشبه بالوقوع في الحب "فماذا يحدث ان وقع اثنان في الحب. شهر محدد وشخص واحد بالذات؟ لماذا؟ انه امر يحدث باستمرار".

ان "باسم الوردة" صنعت اسم ايكو كروائي ولكنها ايضا غدت صعبة للوصول الى مستواها ويتحدث ايضا غدت صعبة للوصول إلى مستواها ويتحدث ايكو عن ذلك بقوله: "اشعر احيانا بالكراهية لاسم الوردة، لان الكتب اللاحقة ربما كانت افضل ولكنه امر يحدث بامكان ماركيز ان يكتب ٥٠ رواية، ولكن الناس لا يتذكرون الا "مئة عام من العزلة"، وكلما انشر رواية جديدة، تطفو، "باسم الوردة" على السطح- يقول الناس، هذه رواية جديدة لكاتب، "باسم الوردة" من مزايا الكاتب كونه مثقفا لا يتعامل مع نفسه بجدية ويقول، "الحياة مثل الرواية، وهي ايضا لعبة ساحرة". اما عن تحويل اعماله إلى افلام سينمائية فيقول، "الكاتب مثل "سنديج" غني بالمواد، لحم، طماطة، جبن وخس وتوابل، اما الافلام فتختار اما الخس او الجبن وتتجاهل العناصر الاخرى. وقد بيعت رواية، باسم الوردة بكميات كبيرة وما تزال تحقق ارقاما قياسية، واصبح الكاتب شهيرا وغنيا يبحث عنه الناشرون والصحف، ولكنه مع ذلك فضل الاستمرار في جامعة بولوغنا وعمله الاكاديمي. وقد اصدر ايكو العديد من الكتب عن اللغة والثقافة ولكنه لا يتحدث عنها، وذلك الجانب المهم يختفي خلف ايكو الروائي.

ويقال عن ايكو انه يركب رواياته مستندا على كتب اخرى. فعمله الاخير، "مقبرة براغ" بحث في روايات القرن التاسع عشر التي اشارت الى بروتوكولات بني صهيون، وبنيتها تماثل تلك الاعمال السابقة. ويبدو ان الكسدر دوماس هو الروح الموجهة. وخاصة عبر روايته جوزيف بالسامو. وقد احب ايكو منذ الصغر قراءة الكتب، وقد

امضى طفولته في اليساندريا- شمال ايطاليا، ولم يكن والداه من محبي القراءة، ولكن جدته كانت. وتضم مكتبته في ميلان وريميني ٥٠,٠٠٠ كتاب وفيها ١,٢٠٠ عناوين نادرة، وتشاركه في القراءة زوجته الالمانية الأصل.

وقد وصف ايكو الكتب بـ "ممرات العقل"، ولكنه اليوم لا يستجيب للتكنولوجيا الحديثة، فلا يقرأ الكتب على الانترنت، ومن اجل تفادي الفراغ في خلال رحلاته، يحمل معه باستمرار حقيبة ملأى بالكتب، ولكنه في رحلته الأخيرة حمل معه "أي باد" يضم ٣٠ عنواناً، وعن ذلك يقول: "مع ذلك يقول باستمرار ان عصر الكتاب لم ينته".

وامبرتو ايكو، متفائل، نشيط شاب ابداً، يستمتع بكل شيء ويقول، " في الواقع ان للروائي حياة اطول من الاكاديمي، ما عدا ان كنت ايمانويل كانت او جون لوك. ان المفكرين اللامعين قبل ٥٠ نسة قد أصبحوا اليوم في غياهب النسيان.

ويبرز هنا سؤال، هل تحول ايكوا الى الرواية كي يتواصل ذكره؟ ويجيب، "كان لدي انطباع ان روايتي ليست ذات صلة بعملي الأكاديمي، ثم اكتشفت ان النقاد قرروا ان روايتي يجب اعتبارها ذات صلة بالفلسفة. وقد استلمت لذلك الرأي، أنهما متناسبان مع بعضهما، ومن الواضح اني غير مصاب بانشيزوفرينيا.

عن الغارديان

شكسبير وأغاثا كريستي وزعا ٤ مليارات نسخة

الكتاب العشرة الأكثر توزيعاً على مر العصور

كثيرا ما يزعم البعض أن عهد الكتب والقراءة الورقية قد ولى، مستندين إلى زخم التطور في مجالات النشر الالكتروني، بل يذهب البعض إلى أننا نبتعد عن زمن الكلمة لنخوض زمن الصورة، غير أن الإحصاءات الصادرة عن العالم المتقدم الذي يشهد، بل يبتكر الطفرة التكنولوجية، تثبت عكس ذلك تماما، وتؤكد حضور الكتاب معنى وسلعة رائجة، وهو ما يعيد السؤال إلينا عن أزمة نشر و توزيع الكتاب في عالمنا العربي.

فمنذ أيام كنت أقرأ في موقع Wikipedia على الإنترنت إحصائية مدهشة عن الكُتاب الـ ١٠ الأكثر توزيعا في الغرب على مر العصور، ورحت أقارن بين هذه الأرقام الفلكية عندهم والأرقام الهزيلة عندنا.

الكاتب الانكليزي الأشهر وليم شكسبير يحتل الصدارة في قائمة الكُتاب الأكثر توزيعا على مر العصور، وزعت أعمال شكسبير البالغة أكثر من ٨٠ عملا ملياري نسخة بـ ١٠٣ لغات حول العالم، وإن كانت بعض الإحصاءات تشير إلى ان المجموع ٤ مليارات نسخة.

أما مواطنته الكاتبة الراحلة أجاثا كريستي التي تحتل المرتبة الثانية فقد وزعت أعمالها التي تصل إلى ٨٥ كتابا في أدب الجريمة مليارى نسخة بـ ٥٦ لغة، وبعض الإحصائيات ترتفع بالرقم إلى ٤ مليارات نسخة.

المرتبة الثالثة كانت من نصيب أعمال المؤلفة الإنكليزية الراحلة باربرا كارتلاند التي توصف في الغرب بملكة الخيال الرومانسي فقد دخلت عام ٩٠ (قبل موتها بـ٨ سنوات) موسوعة غينيس للأرقام القياسية، باعتبارها الكاتبة الأكثر مبيعا في ذلك الوقت، حيث وزعت أعمالها التي وصلت إلى ٧٢٣ رواية مليار نسخة حول العالم.

ويأتي في المركز الرابع الكاتب الأميركي الراحل هارولد روبنز الذي اشتهر بكتب الإثارة وباعت أعماله البالغة ٢٣ رواية ٧٥٠ مليون نسخة بـ ٣٢ لغة.

الكاتب البلجيكي الذي كان يكتب باللغة الفرنسية جورج سيمنون جاء في المركز الخامس في قائمة الكتاب الأكثر توزيعا، سيمنون الذي اشتهر بسلسلة رواياته البوليسية كتب ٥٧٠ كتابا من بينها ٢٠٠ رواية وزعت ٧٠٠ مليون نسخة بـ ٥٠ لغة حول العالم.

وجاءت الكاتبة الإنكليزية ايند بلايتون مؤلفة كتب الأطفال الشهيرة في المرتبة السادسة، بلايتون التي توصف بأنها أنجح كاتبة في أدب الأطفال في القرن العشرين من حيث أرقام التوزيع أنتجت ٨٠٠ كتاب وزعت ٦٠٠ مليون نسخة وهي الكاتبة الوحيدة التي تتساوي مع شكسبير في عدد اللغات التي ترجمت إليها أعمالهما.

الكاتب الأميركي دانيال ستيل الذي اشتهر برواياته الرومانسية كان السابع في قائمة الكتاب الأكثر توزيعا في التاريخ، وزعت أعمال ستيل التي وصلت إلى ٧٢ رواية تنتمي إلى الأدب الرومانسي ٥٧٠ مليون نسخة بـ ٢٨ لغة حول العالم.

وجاء في المركز الثامن كاتب الأطفال ورسام الكاريكاتير ومبتكر شخصيات الرسوم المتحركة الشهير سويس جيزيل الذي اشتهر بدكتور سويس والذي كان يستخدم في كتابة أعماله ٢٥٠ كلمة فقط من كلمات اللغة الانكليزية، وزعت أعمال سويس الـ ٤٤ أكثر من ٥٠٠ مليون نسخة حول العالم.

أما الكاتب الروسي الشهير ليو تولستوي الذي وصف من أكبر مثقفي العالم بأنه أحد أفضل الأدباء على مر العصور فقد جاء في المركز التاسع، تولستوي هو الكاتب الروسي الوحيد الذي دخل اسمه ضمن الأكثر توزيعا في التاريخ، وزعت أعمال تولستوي وأشهرها «الحرب والسلام» و«أنا كارنينا» ٤١٣ مليون نسخة بالعديد من اللغات حول العالم.

وأخيرا تأتي في المرتبة العاشرة الكاتبة الانكليزية جي كي رولينغ مؤلفة سلسلة كتب هاري بوتر التي تحولت إلى ما يشبه الهستيريا العالمية في السنوات الأخيرة، رولينغ التي تعتبر الكاتبة الأكثر حظا في العالم والتي حولتها سلسلة هاري بوتر إلى واحدة من أثرياء العالم وزعت أعمالها من السلسلة والتي تبلغ ٧ كتب ٤٠٠ مليون نسخة.

هذه الأرقام من الصعب التشكيك بها لأن الإحصائية كانت محصنة بثلاثة عشر مصدرا استقيت منها الأرقام، وهي تجعلنا نعيد النظر في حكمنا المتسرع عن ركود الكتاب و ذهاب عصره.

صدور الطبعة الفرنسية من السيرة الذاتية لستيف جوبس

صدرت في باريس عن دار نشر "جي سي لاتيس" الطبعة الفرنسية للسيرة الذاتية لمؤسس مجموعة "أبل" لتكنولوجيا المعلومات ستيف جوبس والذي رحل عن عالمنا في تشرين الاول الماضي.

ويحتوي الكتاب، الذي حرره والتر اياكسون، على أراء أصدقاء وأبناء وعائلة جوبس في شخصه، بالإضافة إلى أراء من عملوا معه ومنافسيه، علما بأن هذه الحوارات التى اجريت خلال عامين تمت لإي حياة جوبس.

ويعد الكتاب، الذى يقع فى ٦٠٠ صفحة من القطع المتوسط، الوحيد الذى يتحدث عن حياة جوبس بموافقته شخصيا بل أنه طلب من المحيطين به التحدث بكل صراحة ولم يتم حذف أى رأى، حيث لم يتدخل جوبس إلا فى إختيار الغلاف.

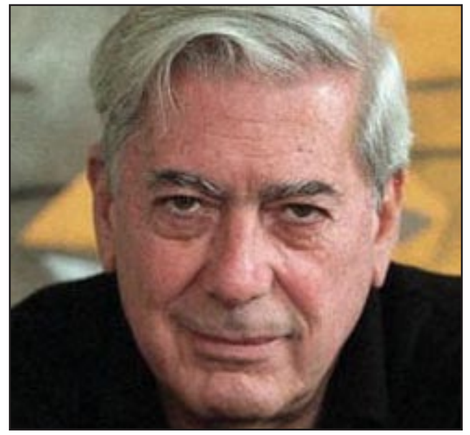

بين الكاتب ووكيله الأدبي

فجأة، قررت كارمن بالسيلس، الوكيلة الأدبية لكبار كُتّاب أمريكا اللاتينية، أن تبيع أرشيفها لوزارة الثقافة الإسبانية، قالت إنه الأرشيف بأكمله، رغم أن المتشككين يعلمون جيداً أنها تحتفظ بأسرار أخري. الأرشيف الذي استطاعت جريدة البايبس الإسبانية أن تطلع عليه، يكشف جانباً غامضاً وسرياً لكُتّاب شغلوا العالم بإبداعهم، بجانب المفاوضات المادية وتعليقات علي الناشرين، وربما أمور شخصية أيضاً. مراسلات كتبوها بنية صافية دون أن يتوقعوا أن يطلع عليها أحد غير وكيلتهم. هنا نجد ماركيز ويوسا وإيزابيل الليندي، ماريو بينيديتي وكارلوس أونيتي وميجيل أنخل استورياس، ونيرودا.

في سنة ١٩٧٣ منعت الرقابة الإسبانية نشر كتاب " بفضل النيران (١٩٦٥) ، رغم نفاد الطبعة الأولي في أوروجواي. أبدي بينيديتي دهشته : فلم يكن الانقلاب العسكري قد حدث في بلده وكان لا يزال مدير قسم الأدب الإسباني اللاتيني في جامعة مونتيفيديو. فكتب الي كارمن :« في بيْتنا لا يمكن تصور أن تصادر الرقابة نصاً بهذا المضمون ". وكانت دار ثيركولو دي ليكتورس قد دفعت للكاتب ٦٥ ألف بيزيتا كعربون.

كان بينيديتي واحداً من كُتاب قلائل لم يستسلموا لعرض بالسيلس. ومن منفاه ببوينوس آيريس كتب في التاسع عشر من مارس ١٩٧٤ : " أشكرك كثيراً علي عرضك لتكوني وكيلتي عن كل أعمالي بكل اللغات، لكنني في هذه الأمور وسواس بما يكفي ولم أرغب ابداً أن يكون لي وكيل في كل شؤوني. ولا يفوتني أن أقول إنه قرار سيىء علي المستوي الاقتصادي، لكن، في هذا المجال علي الأقل، أود أن أحتفظ بحريتي.

الرسائل المتبادلة بين دونوسو وبالسيلس تعتبر أدباً خالصاً، حتي تلك المتعلقة بالأمور المالية. كان كاتباً معلقاً بين الاحتياجات الاقتصادية والموهبة، هكذا يبوح باستمرار بسخطه. " أنا مفلس جداً أكثر من أي وقت مضي. أنا في انتظار أموال بونيويل. أود أن أطلب منك ألا تخصمي فجأة شيئاً من ديوني ". كتب ذلك في بدايات ١٩٧٢ من قرية كالاثيتي، القرية التي أقام فيها مع زوجته بيلار. وكتب دونوسو سنة ١٩٧٢ " الحكاية الشخصية لكتاب الانفجار " الذي تحدث فيه عن زملائه الذين ارتبط معهم بعلاقات صداقة حميمة وبمنافسات أيضاً. وفي يونيو ١٩٧٣ كان يشكو لوكيلته من دار سيبكس بارال التي نشرت عمله " روائيون بورجوازيون " مع رواية لبارجس يوسا : " حماقة أن يطرح في السوق عملان لكاتبين أمريكيين لاتينيين في نفس الوقت، وإعطاء أهمية لكاتب وتجاهل الآخر ". لكن خطأ آخر يساعد علي فهم دونوسو المعقد هو ما كتبه في كالاثيتي يوم ٣٠ يوليو ١٩٧٤ لرفض دعوة من التليفزيون الفرنسي للحديث سياسياً عن شيلي، واسباب الرفض تعكس صورة ذاتية ونفسية.

" كما تعلمين - وربما لهذا لا تحبينني كما تستطيعين أن تحبينني - عنفي يظهر عادة في شكل سخرية:وسخرية " بيت بالحقل " عنيفة. لكنني لست ابن " أحداث مايو " ، ولا أطمح أن أكون شهيداً، ولا أن يذكروني كالرجل الأكثر مثالية والأكثر تورطا في مشاكل العالم، ولا باعتباري الأكثر كمالا علي المستوي الأخلاقي : أنا رجل ناقص، وعنفي له نفس الشكل الذي له.

الكاتب الأرجنتيني كان يشكو من سوء المعاملة التي يتلقاها في السوق الأنجلوساكسوني : " أنت تفهمين يا كارمن أنني لست في وضع يسمح لي أن أبرر ما يحدث لكل قارىء إنجليزي أو أمريكي، فمن المحزن جداً لرواية " عن أبطال ومقابر " التي تلقت كتابات نقدية عالمية أن تصدر في دار نشر صغيرة، لكن ماذا بوسعي أن افعل، إن شيئاً شيطانياً قد وقف حائلاً بين العمل وبين دور النشر الإنجليزية ".

مؤلف رواية : " أنا الأعلي " تلقي بتواضع ما يبدو توبيخاً من جانب كارمن بالسيلس لنشره مقالات في جريدة "انترفيو مكسيكو ". " فكتب لها : » من الآن فصاعداً سأنتبه لتعليقاتك فيما يخص إرسال مقالات لهذه المجلة.. لقد شاهدت الأعداد التي ارسلتها لي ورأيت مستوي المجلة الضحل وميلهم لإثارة الغرائز، وما خفف عني أنني لم أنشر سوي في عدد واحد. لا أعتقد أنهم يقدمون أي معروف لوضعي ولا لوكالتي. الأمر ليس رفضي للعري النسائي والإثارات الأخري، وإنما أنني لا أجد أنه من الملائم أن تظهر مقالاتي في هذا القسم السندويتش ".

وقع الكاتب التشيلي عقده مع كارمن بالسيلس يوم ٢٤ مارس ١٩٧١، أي قبل عقد بابلو نيرودا بأشهر قليلة، وكان نيرودا حينها سفيراً لشيلي بفرنسا وبعد شهور قليلة فاز بجائزة نوبل. وفي رسالة بتاريخ ١٩٨٢، وهو العام الذي فاز فيه أمريكي لاتيني آخر بجائزة نوبل (وهو جارثيا ماركيز) كتب لها إدواردس عن ماركيز : " أقدره ككاتب، غير أن شهر عسلنا السياسي لا يتوافق ".

تتمتع رسائل الكاتبة الشيلية بلمحة سحرية تميزت بها أعمالها الأولي. كانت علاقتهما وثيقة جداً، حتي أن إيزابيل كانت ترسل لها تهنئة في عيد الأم. في يونيو عام ١٩٩٧ كتبت الليندي : " احتملي العقد، أرجوك ! لا أحب أن يقدموا نصف ما دفعوه من قبل. ولا أريد أن يطبعوا الكتاب إن لم يقبلوا بمشروعنا. لا تكوني جشعة، وأرسلي لهم نسخة ملونة ".

في الرابع والعشرين من مارس عام ١٩٧٠، عيّن الكاتب البيروفي كارمن بالسيلس كوكيلة أدبية عن أعماله. قبل ذلك كانت علاقتهما حميمة، لذلك بعث لها برسالة ودية جداً اعترف فيها بأنه محبط لأنه لا يستطيع التفرغ كلية للكتابة : " يحدث أنني أشعر كل يوم بملل من إعطاء محاضرات والعيش كغجري، وكل يوم أكافح حد القتل لأتحصل علي لقمة العيش وأتفرغ بعد ذلك للكتابة فقط ". كُتبت هذه الرسالة في عام ١٩٦٩ وبعد أن كان قد نشر رواية " المدينة والكلاب " عام ٦٣، وترجمت إلي عشرين لغة سريعاً، و"البيت الأخضر " عام ٦٦، تعرض لواحدة من أسوأ الكوارث التي قد يتعرض لها روائي في مايو ١٩٦٩ " حدثت لي تراجيديا مفزعة. نصف الرواية التي كان يجب أن تكون في يد كالوس ضاعت مني في مكان ما من العالم بسبب مضيفة غير مسؤولة. لديّ لحسن الحظ نسخة منها لكن تخيلي ما حدث. بعيداً عن هذا يبدو لي فألاً سيئاً أن يتصفحها شخص غريب ". وأغلب الظن أن هذه الرواية كانت " حوار في " الكاتدرائية المنشورة في نفس العام، وهي الرواية التي كثيراً ما أشار إليها في مراسلاته مع وكيلته خلال عام ١٩٧٠ من لندن. بعدها نشر مع دار سيبكس بارال، وكتب : " لقد نشروا لي بفضل كارلوس وبمساندته وإيمانه بي حدث ما حدث لكتبي ". في هذا العام الحيوي اتخذ يوسا قراره : " بداية من يوليو سأتفرغ فقط للكتابة لأعيش من كتبي ".

أغلب الظن أن العلاقة الحميمة جداً بين النوبل الكولومبي ووكيلته الكتالونية أكبر وأعمق بكثير مما يعكسه الأرشيف الذي يقع الآن في حوزة وزارة الثقافة الإسبانية. لقد احتفظت بالسيلس بمخطوطات كتبه ورسائله التي لابد أنها لن تستغني عنها أبداً. هذا يبرر ندرة الرسائل الشخصية بينهما الموجودة في صناديق كتاب أمريكا اللاتينية، رغم المراسلات المهنية الغزيرة الناجمة عن النجاح العالمي لروايات ماركيز. في مقر الوكالة هناك ما يسمي بالمكتبة الثانية لجارثيا ماركيز : ٧٠٠ صندوقاً يحوي نسخاً من كل طبعات أعماله في العالم. أبلغته بالسيلس يوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٧٣ بنقل مكتب وكالتها : " قررت أن أنقل مكتبي وأشعر برعشة لا يمكن احتواؤها لأنني اتخذت القرار دون مباركتك. كنت أتمني أن تري الشقة وأن أعرف أنها أعجبتك". وطلبت منه "كمعروف خاص " أن يقرأ رواية لويس جويتيسولو " حكاية مكررة ". كتبت له : "إن أعجبتك أطلب منك عبارة صغيرة...". من الأرشيف أيضاً دعوات لا حصر لها، وصفقات كثيرة مرتبطة بحقوق المؤلف. يمكن أيضاً قراءة تفاصيل سرقة تعرض لها الكاتب في أكتوبر ٨٥ في فندق بريتيسا سوفيا ببرشلونة، إذ قدمت زوجته مرتيس مخضراً في قسم شرطة قالت فيه إنهم سرقوا من غرفتها خواتم وعقود وحلقان وحقيبة السفر بالباسبورات (تم استعادتها أخيراً) وعشر سيديهات بها روايته الأخيرة التي لم تكن قد نشرت بعد ولا صححت. قيمة المسروقات وصلت ثمانية ملايين بيزيتا. هناك أيضاً ملاحظات كتبها جابو وزوجته، التي وقعت باسم " جابا ".

الشاعر التشيلي الشهير وكّل بالسيلس عام ١٩٧١، عندما كان سفيراً لشيلي بباريس، وجزء كبير من مراسلته قامت بها سكرتيرته. من خلالها، كتب في نوفمبر ١٩٧١ : " السيدة بالسيلس الموقرة، يسرني أن أتوجه إليك بأمر كلفني به سعادة السفير لأقوله لك : ١ - يبدو له المقدم هزيلاً - أن النشر خارج الولايات المتحدة لا يتضمن التنازل عن الحقوق ولا الدفع لدار النشر ". في ديسمبر من نفس العام، أخبرته الوكيلة أن تابيس ستنشر طبعة من " عشرون قصيدة حب ". كان نيرودا مدركاً للتشابكات الحادثة مع وكيلته، هكذا كتب لها عام ١٩٧٢ : " أعرف أن تمثيلك لي يكلفك عملاً كثيراً. معذرة. لكن أعتقد أنه بمجرد فك الاشتباك كل شيء سيكون علي ما يرام. الآن سأفعل فقط ما يجعلك تتحدثين عني بشكل جيد ". بعد شهر، اعترف السفير : " خطاباتك التي تحمل نية إرعابي بسبب وعودي السابقة التي لم أنفذها لم ترعبني وذلك ببساطة لأنني مرعوب.فيما يتعلق بالناشر السويدي أخبرك أنه بارد من النوع الجيد. يفهم من ذلك أنه دفع للمترجمة مرة واحدة والباقي كان نصبا ببساطة. إنه ليس الناشر الوحيد الذي يستحق أن يكبر. أنصحك أن تتعاملي مع بيبليني بقفاز من الحرير. وأنا أتفق مع نسبتك وسيطرتك، لكن يجب أن تتذكري أنه الوحيد الذي أراد أن يحصل مني نسبة، رغم إلحاحي. هذا يستحق إتفاقاً خاصاً ". وظلت بالسيلس وكيلته حتي وفاته.

فاز صاحب " السيد الرئيس " بجائزة نوبل عام ١٩٦٧ وكان الأول في القائمة الطويلة من اللاتينيين الذين تعاقدوا مع بالسيلس والفائزين بهذه الجائزة الكبري. وبالإضافة لتقتيره، لم يكن استورياس يتمتع بحس فكاهي. كتب لها : " اكتب لك سريعاً قبل أن تتعاقدي مع دار لومن، إذ أنهم لم ينتبهوا أن من كتاب الكتاب فائزان بجائزة نوبل. أولاً، متحدثاً باسم نيردوا الذي لا يبدو أنه سيتحدث(كان ذلك بعد وفاة نيرودا) ثانياً باسمي، لا أحب أن يقع اسمي في مجموعة مختارة تحت اسم " كلمة صغيرة " فكلمتنا دائما كبيرة السن بعد أن التقي بها كاتب اوروجواي الكبير، صاحب " عندما لا يهم " كتب لها : " أولا ما حدث اكذوبة. أنت لم تلتقي بأونيتي، بل التقيت بعجوز عاجز، شبه مدمر جراء المضاد الحيوي ومكفناً في سرير يصفه الروائيون الطيبون بأنه مشكوك في نظافته وأنا أفضل تسميته قذر. ربما نلتقي مرة أخري ". وبعدها بعام، بعد أن تلقي أمواله من دار سالفات، كتب لها بسخرية رقيقة : " تلقيت في الحال خطابك بتاريخ ٥ أغسطس، إنه أجمل خطاب كتبته امرأة ". وفي بدايات ١٩٧٤، وبعد أن تجذرت الديكتاتورية في أوروجواي، شجعته الوكيلة علي الإقامة هو وزوجته في إسبانيا، وهو ما حدث أخيراً، حتي مات في مدريد عام ١٩٩٤ لكن هناك رسالة للوكيلة قالت له فيها : " أسحب عرضي بمساعدتكما في الإنفاق علي إقامتكما في إسبانيا، لكن تأكدا أنه في اللحظة التي تقرران فيها المجيء، ستجدان صيغة سحرية يمكن من خلالها سحب أموال من مكان ما، حيث لا يبدو لي مناسباً الاقتراض من ناشر أو أن نبيع له كتاباً لم ينته بعد ". تأخر أونيتي عدة أشهر حيث سُجن في أوروجواي بعد أن فاز بجائزة عن قصة وصفت بأنها بورنوجرافية ومحرضة علي الديكتاتورية. كتبت زوجته لبالسيلس في ١٩٧٤ : " لا يزال خوان في المصحة، معتقلاً.. ويرسل لك حضناً كبيراً رغم أنه في حالة سيئة.. والله يعلم أية رواية سيكتبها بعد أن يخرج.

عن / الغارديان
ترجمة ايمان صادق

ألبير كامي..
فيلسوف العبث هاجم الوجودية

القاهرة - أ ش أ

صدرت مؤخرا عن المركز القومي للترجمة بالتعاون مع دار آفاق للنشر والتوزيع ، الطبعة العربية من كتاب " البير كامي " وهو من تأليف " ديفيد شيرمان" وترجمة " عزة مازن" ، وذلك في إطار سلسلة عقول عظيمة.

يعرض الكتاب لكامي " ١٩١٣-١٩٦٠ "، فيلسوف " العبث"، وأحد أعمدة الوجودية الفرنسية، في فترة ما بعد الحرب الثانية.

وكامي بحسب مقدمة المؤلف مفكر يمثل الضمير الأخلاقي لجيله من وجوه شتى وفيلسوف في بعض جوانبه، وإن كان بالطبع ليس بالمعنى الاحترافي، وهو وجودي على طريقته، ومفكر .

وكان كامي يعمل على هوامش الفلسفة ، محاولا تأهيل رغبات البشر من دم ولحم لذلك فأعظم أعماله هي رواياته "الغريب" و"الطاعون" وغيرها، لكن "كامي"، نفسه، لم يكن يعترف بوجود تباينات ثابتة جامدة بين الفلسفة والأدب الجيد، فيرى أن "الروائيين العظماء فلاسفة عظماء"، وأن " الرواية فلسفة تمت صياغتها في صور خيالية، وفي الرواية الجيدة تختفي الفلسفة في ثنايا الصور الخيالية .

و يفند المؤلف في مقدمة الكتاب إدعاء "كامي" بأنه ليس وجوديا ، وهو الذي كان في قلب الحركة الوجودية الفرنسية ، ويرى فيه إدعاء غريبا ، ففي منتصف الأربعينات من القرن الماضي، وفي حوار صحفي أجري معه، هاجم " كامي " فلاسفة الوجودية، فقد كان في ذاك الوقت ينظر إلى الوجودية على أنها مرادفة، بوجه من الوجوه، لبديلها الديني ، الذي كان يرفضه رفضا باتا.

و لا يمنع هجوم "كامي" على الشيوعية السوفييتية زعمه أنه يساري، ولكنه يعكس بشدة كيف تتشابك الجزئيات التاريخية والشخصية العارضة، وتدخلها على المواقف التي يتبناها الفرد.

خلاصة القول إن "كامي " المولود في قرية موندوفي /قسنطينة بالجزائر، في العام ١٩١٣، كان واحدا من رواد الفكر في عصره، روائي وجودي رفض التخلي عما اكتسبه ليعبر عن رؤية أخلاقية سامية، في عصور ارتفعت فيها الإستقطابات السياسية .

مؤلف الكتاب ديفيد شيرمان، هو أستاذ الفلسفة بجامعة مونتانا، ميسولا، وهو صاحب كتاب " سارتر وأدورنو: جدل الذاتية" ٢٠٠٧، كما شارك في تحرير كتاب " مرشد بلاك ويل للفلسفة الأوربية"٢٠٠٣ ، وهي السلسلة التي أنتجت هذا الكتاب. أما المترجمة، عزة مازن من مواليد القاهرة، ولها العديد من الترجمات، من بينها مشاركتها في ترجمة " موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي" و كتاب " مفاوضات مع الموتى : تأملات حول الكتابة" للكاتبة الكندية مارجريت أوتود، التي ترجمت لها أيضا كتاب " القاتل الأعمى

التاريخ السري للموساد

صدر هذا الكتاب أساسا عام ١٩٩٩، وأعيد تحديثه هذا الشهر مضافة اليه بيانات جديدة للأحداث التي أدت إلى هجمات ١١ سبتمبر وما حدث بعدها. يسرد كتاب «جواسيس غيدون، التاريخ الحقيقي لواحدة من أكبر منظمات الاستخبارات في العالم اليوم. ومنذ تأسيس دولة اسرائيل ومسارها الخطير عبر فترة بناء أمتها في الخمسينات/الستينات خلال حربها ضد بقاء منظمة التحرير الفلسطينية، يخبرنا توماس قصة تشكيل الموساد والمنظمة التي كفلت استمرار الدولة الاسرائيلية عبر فتراتها الأكثر خطورة وأزماتها الكبيرة.

لندن /ا.ف.ب.

ويجادل الكاتب انه لولا الموساد فإن اسرائيل لم تكن موجودة على أرض الواقع الآن!

ومن الميل ٢٥٠٠ في غارة عنتاب، إلى أوغندا لانقاذ الرهائن من قبضة عيدي أمين، وحتى يومنا الحالي، يسرد غوردون توماس تاريخ منظمة بالامكان وصفها بانها موغبن دافيد أو ترس دافيد، حيث انه بدون الجهود واليقظة المستمرة للموساد، لما كان هناك دولة اسرائيل اليوم. وفي العالم السري للجواسيس والعمليات السرية، ليس هناك منظمة استخبارية أخرى مستمرة بالاحاطة بالخرافات والغموض، أو لا تزال مسيطرة على الاحترام والخوف، مثل الموساد الاسرائيلي. تشكلت الاستخبارات الاسرائيلية (الموساد) عام ١٩٥١ لضمان مستقبل اسرائيل، وكانت الموساد مسؤولة عن أكثر المهمات المتهورة والمخيفة للجاسوسية، والارهاب المقابل، والاغتيالات التي تمت المغامرة بها.

ويستمد كتاب «جواسيس غيدون» معلوماته من الوثائق والمصادر السرية والمقابلات خلف الأبواب المغلقة مع عملاء الموساد والمخبرين وكبار الجواسيس للكشف عن أعمق أسرار المنظمة. هذه النسخة الخامسة من الكتاب محدثة بشكل كامل بالمعلومات، بما في ذلك غارة مشفى الموساد التي أظهرت أخيرا الخلايا النائمة في بريطانيا، واغتيال ثاني ارهابي مطلوب عالميا، واكتشاف المفاعل النووي الخفي في إيران، والعلاقة المعقدة ما بين الاستخبارات الإسرائيلية وادارة بوش في الحرب على الارهاب. ولماذا قال رئيس الموساد السابق «اننا ننظر إلى قاع برميل الحرب العالمية الثالثة ما لم يستيقظ العالم».

كما تضيف النسخة الثالثة فصولا موسعة عن الوضع بعد غزو العراق، والسوق السوداء للمواد النووية، ومواضيع أخرى، في محاولة للوصول إلى حبك النهايات المفتوحة في النسخ السابقة. يقيت أجزاء كبيرة دون تغيير، بشكل يجعل الكتاب نوعية لا مثيل لها، حيث ان بعضا منها كتب عام ١٩٩٤، والبعض الآخر عام ١٩٩٩، و٢٠٠٤ والصيف الماضي. بشكل عام، يقدم توماس نظرة قيمة ونادرة للأعمال الداخلية لمنظمة سرية جدا. القراء الماكرون سوف يتساءلون ما اذا كان المخبرون الذين لا ترد أسماؤهم قد أدلوا بسبق صحفي. وهي القصة التي يفتتح بها موضوعا خاصا بحد ذاته.

يستقطب توماس الانتباه بحكاية تلفت الانتباه حول سائق فندق ريتز هنري بول، سائق السيارة التي ماتت فيها الاميرة ديانا ودودي الفايد. يصور توماس بول على انه سائق ماهر يقبل الرشى من المصورين الساعين لالتقاط صور المشاهير الذين كان مسؤولا عن حمايتهم. ووفقا لما يقوله توماس فقد هدد الموساد بإظهار نذالة بول لسلطات الريتز، في حال لم يوافق بول على التجسس لمصلحة إسرائيل. يثير توماس العديد من الاسئلة قبل ان يصل إلى نقطته: «هل كان بول مسؤولا عن أكثر من مجرد حادث الطريق المريع ام كان ضحية وكالة استخبارات قاسية؟» لا تصل القصة إلى أي نهاية. اشارة الاستفهام التي تنهي الموضوع يعتمد عليها توماس كثيرا، معطيا القارئ الانطباع بان كتابه يحتوي على عدد من الاسئلة أكبر من عدد الاجابات.

لقد أمضى توماس أكثر من ١٠٠ ساعة في مقابلات مع رؤساء وعملاء الموساد، إضافة إلى آخرين تأثرت حياتهم بالوكالة، بمن فيهم ياسر عرفات (هدف الإغتيال المتكرر قبل اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣). يقوم توماس بالتنقيب في عمليات المنظمة، بما فيها حادثة قتل النادل العربي البريء في النرويج في منتصف السبعينات الذي كان يعتقد بانه واحد من مجرمي منظمة التحرير الفلسطينية الذين شاركوا في مذبحة ميونخ عام ١٩٧٢ التي تعرض لها فريق إسرائيل الأولمبي. كما يقدم توماس للقارئ تدريبات الموساد لعملائها في الميدان وكيف نجح العملاء الإسرائيليون في اختراق أصعب الأجزاء في العالم العربي

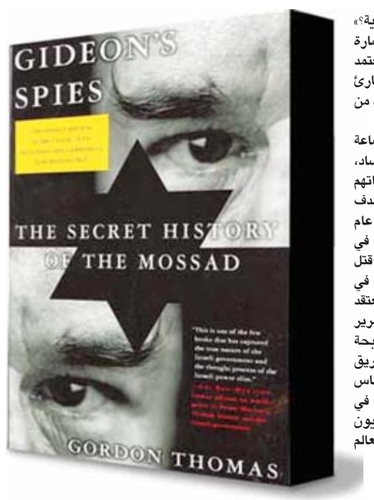

كيف غيرت السياسة أفكار داروين؟

أثار شارلز داروين بتأليفه كتاب «أصل الأنواع» ثورة في مجال العلوم الطبيعية، كما غيّر بصورة جذرية الطريقة التي ينظر بها ملايين الناس إلى انفسهم وعلومهم وقيمهم. وعلم النشوء والتطور الذي ولد على يديه اكتسب بعدا سياسيا منذ البداية وكان له وقع مزعج على العالم الذي نعيش فيه. ويتناول كتاب «الجين السياسي» كيفية سعي العلماء والسياسيين لاستخدام أفكار داروين في حل المشكلات الاجتماعية أو تعزيز الايديولوجيات السياسية. وقد ارتبطت بعض الاتجاهات التي ادعت انها استعرضت أفكاره ببعض من اسوأ الاحداث التي شهدها ماضينا القريب.

فعندما وصل ايريك هاريس الطالب في مدرسة كولومباين الثانوية في أميركا في صباح يوم ٢٠ ابريل ١٩٩٩ وارتكب مجزرته التي راح ضحيتها عدد من الطلاب من زملائه كان يرتدي قميص تي شيرت يحمل عبارة «الاختيار الطبيعي». وقبل قتل الطالب الفنلندي بيكا – ايريك أوفينين ثمانية اشخاص في مدرسته الثانوية في نوفمبر ٢٠٠٧، كان قد كتب ان «الاغبياء، ضعاف العقول ينجبون.. بوتيرة اسرع من الأذكياء، أقوياء العقول» وان «الموت والقتل ليس بأمر مأساوي بل انه يحدث في الطبيعة طوال الوقت». وكان عنوان شريط اوفينين في موقع يو – تيوب «الاختيار الطبيعي ٨٩». ويقول مؤلف الكتاب دينيس سيويل ان الطالبين كانا من اتباع «الداروينية الاجتماعية» الهواة. وقد استغلا نظرية النشوء والتطور لتبرير الفظائع التي ارتكباها. وفي هذا الكتاب الذي يقدم تاريخا موجزا لاساءة الاستخدام السياسي للداروينية، يوضح المؤلف سيويل ان تلك الافكار شكلت جزءا من تقليد طويل بائس ضم كل شيء ابتداء من عمليات التعقيم القسري إلى المجازر الجماعية. ويورد الكتاب بعض الأمور المزعجة، والمستفزة.

ويقر المؤلف ان داروين كان شخصا مهذبا ومتواضعا، غير ان من تحمسوا لافكاره منذ وقت مبكر كانوا أكثر عنفا. ففي بريطانيا كان هيربرت سبنسر صديق داروين الذي صاغ عبارة «البقاء للأفضل» يدعو بشدة الى عدم مساعدة الدولة للفقراء والمعوزين. فقد كتب يقول «اذا كان الانسان قادرا بما يكفي على الحياة، فانه يستطيع الحياة، واذا لم يكن كذلك «سيموت وانه من الأفضل ان يموت». أو كما اشار داروين نفسه، فانه «فيما عدا حالة الانسان نفسه، لا أحد من الغباء بمكان بحيث يسمح لاسوأ حيواناته بالانجاب».

وانضم الفابيون والاشتراكيون وجميع فئات الاتجاهات البائسة الداعية لتدخل الدولة بحماس إلى تلك القضية. فقد شكا الكاتب اتش – جي – ويلز قائلا اننا «لن نستطيع اقامة الحياة الاجتماعية والسلام العالمي الذي نسعى لتحقيقه مع وجود الاعداد الكبيرة من المواطنين الأدنى مرتبة ممن يفتقرون إلى التنشئة والتدريب الجيدين». وفي أميركا كان دعاة هذه الأفكار يدفعون المال للمشردين ممن لا مأوى لهم بارتداء لافتات كتب عليها «انني عبء على نفسي، وعلى الدولة، فهل يجب ان يسمح لي بالبقاء، والتناسل؟».

وتم سريعا الاعتراف بحركة تحسين النسل وسجلت قانونيا. وكان قانون التخلف العقلي لعام ١٩١٣، قبل الغائه في عام ١٩٥٩ يقسّم غير اللائقين عقليا إلى «الاغبياء، والمعتوهين، وضعفاء العقول» وكان يتم عزلهم في «مستعمرات». ويروي المؤلف قصصا فظيعة عن الظلم الفادح مثل كيفية تحويل «الحيوان الصغير المنحرف الميئوس منه» بعد اجراء عملية جراحية في الدماغ في إحدى الملاجئ وكان يبلغ الرابعة عشرة من عمره إلى «صبي اجتماعي نظيف». ويقول سيويل ان «الداروينية سيطرت تماما على الوضع في الملاجئ التي تؤوي من يعانون الاعاقة».

وفي بعض المناطق الريفية في الولايات المتحدة كان بعض الفرق التي تقوم بعمليات المسح تقيم حواجز في الطرق، وتقتحم البيوت بحثا عن من يعانون خللا أو عيوبا. ولكن في عام ١٩٢٧ اثيرت قضية حول المعاملة القانونية لكاري بوك التي حملت بعد اغتصابها من قبل ابن اخ رب الأسرة التي كانت ترعاها. وكانت قد اختيرت للاخضاع مثل والدتها لعملية تعقيم قسرية، وادخلت إحدى المستعمرات الخاصة بضعفاء العقول. وقد اعتبر طفلها البالغ من العمر سبعة أشهر بانه «يبدو غير طبيعي تماما»، والحق بالأسرة ذاتها التي كانت ترعاها. وفي عام ١٩٢٧ توصل القاضي اوليفر ويندبل قاضي المحكمة العليا إلى انه «يكفي وجود ثلاثة أجيال من المعتوهين» وظلت قوانين التعقيم القسري سارية في بعض الولايات الأميركية حتى أعوام السبعينات، وفي ولاية اوريغون حتى عام ١٩٨٣.

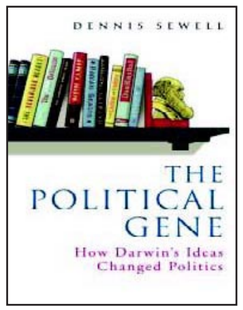

وقد بلغت ايديولوجية تحسين النسل أوجها في فترة النازية حيث تم قتل من كانوا يعانون الاعاقة البدنية والعقلية. ويورد الكتاب العديد من المظالم التي ارتكبت باسم نظرية تحسين النسل، مثل سجن فتاة بريطانية لمدة ١٨ عاما في قضية سرقة تافهة. واغلاق باب الهجرة في أميركا في وجه من اعتبروا بانهم مصابون باي نوع من أنواع الاعاقة.

وقد كان لأفكار الداروينيين المتطرفين تأثير في بعض السياسات العامة خصوصا تلك ذات الصلة بالفقر، والرعاية الاجتماعية، والهجرة والتربية والتعليم، والمساواة بين الجنسين، وحقوق الانسان.

ويضع التقدم الذي حدث في مجال العلوم الوراثية والنشوْ والتطور، النظريات الداروينية في خضم جدل ثقافي، وسياسي مرير مع الأفكار الليبرالية المساندة لحقوق الانسان. وسيكون لقضية الجين الوراثي دور أكبر واهم مستقبلا. فهناك خوف من محاولة الداروينيين اعادة احياء ما أطلق عليه علم تحسين النسل eugenics، والدراسات المشكوك في أمرها التي تتناول الفروقات في الذكاء فيما بين الاعراق.

غير ان المؤلف يقدم بعض الأدلة التي تشير إلى ان تلك الجماعة لن تستطيع الانتصار في قضية علوم الوراثة. وان المشكلة فيما يتعلق بقضية النشوء والتطور ليست النظرية بل تبرز المشكلة عندما يحاول البعض تطبيقها على أرض الواقع.

المؤلف: دينيس سيويل
الناشر: بيكادور

تاريخ الرجولة

يتحدثون كثيراً عن الأنوثة، لكن لماذا ليس عن الرجولة؟ للإجابة على هذا السؤال يشارك عدد من المؤرخين والباحثين الفرنسيين والأجانب في إعداد عمل ضخم تحت عنوان "تاريخ الرجولة". وهذا العمل هو من ثلاثة أجزاء تحت إشراف ثلاثة من المؤرخين الفرنسيين المعاصرين هم آلان كوربان وجان جاك كورتين وجورج فيغاريللو.

يخص الجزء الأول تاريخ الرجولة في العصور القديمة. ويتم التأكيد أن الرجولة بدت آنذاك بمثابة قيمة "فاضلة" حيث كان يراد الوصول إلى أعلى درجة ممكنة من الكمال في مجال القوة الجسدية وكان المقاتلون الإغريق والمصارعون الرومان نماذج اجتماعية مرموقة. هذا إلى درجة أن آراء كثيرة جرى تداولها تقول ان انحطاط الحضارتين القديمتين اليونانية والرومانية ارتبط مع "تعب" الرجال فيهما.

وفي تلك الفترة أيضا بدت الرجولة أنها بمثابة مثال أعلى للسيطرة الرجّالية التي كانت إحدى السمات البارزة في المجتمعات الغربية. هكذا كان قد جرى اختراع نوع من ثقافة الرجولة القائمة على مفاهيم من القوة الجسدية ومن الشجاعة الأخلاقية. تلك الثقافة فرضت على الجميع قوانينها وطقوسها وقيمها.

يتم التأكيد في هذا السياق أن التقاليد الخاصة بمفهوم الرجولة قد تفاعلت باستمرار مع الوسط الاجتماعي المحيط بها. ولم تتسم أبداً بالثبات وإنما بالتطور. هكذا لم يكن المجتمع التجاري يحمل نفس المثال الرجولي الذي كان سائداً لدى المجتمع التجاري يحمل نفس المثال الرجولي الذي كان سائداً لدى المجتمع العسكري.

ولم يكن لدى المتردين على بلاط الملوك نفس المفهوم الذي كان يحمله الفرسان. والقصر والمدينة اخترعا في العصور القديمة "نماذج" متباينة عن الرجولة. مسارات هذه التطورات والتباينات في المفاهيم والنماذج الخاصة بالرجولة خلال الحقب القديمة تشكل بالتحديد موضوع الجزء الأول من كتاب تاريخ الرجولة.

الفترة الزمنية التي تغطيها التحليلات المقدّمة تمتد من العصور القديمة حتى عصر التنوير الأوروبي. هذا ويتم التأكيد على وجود قطيعة كبيرة بين العصور القديمة الأوروبية وعصر التنوير. تلك القطيعة تخصّ بالتحديد مفهوم السيطرة.

إن مفهوم رجولة جديد فرض نفسه. لقد تغيّرت بالتوازي تراتبية السيطرة الرجولية إذ غدا من الممكن أن يظهر الآباء في موقع الطغاة بينما لم يظهر أي احتجاج بالوقت نفسه بخصوص السيطرة على المرأة.

الجزء الثاني يخص البحث في تاريخية الرجولة خلال القرن التاسع عشر والذي يتناظر كما يتم تقديمه مع السيطرة القصوى لفضيلة الرجولة. وفي ذلك القرن فرضت قيم الرجولة ومعاييرها نفسها بقوة أصبح من الصعب معها الاحتجاج عليها حقيقة. وتعددت بالوقت نفسه الأماكن التي تبرز فيها الرجولة. وليس أقلّها مساحات الحروب وساحات المبارزات. كذلك أصبحت الرجولة لا تمثل مجرّد فضيلة فردية بل ازدهرت كثيراً صورة الرجل كرمز للسيطرة.

الجزء الثالث والأخير مكرّس للرجولة المعاصرة. وتتم الإشارة أنه في بدايات القرن الحالي، الحادي والعشرين سادت في الغرب مقولة مفادها أن الرجال لم يعودوا رجالاً حقيقيين. وبدا أن عملية التراكم المستمرة منذ فترة طويلة أدت إلى اهتزاز إمبراطورية الذكر. والمجازر التي يتم ارتكابها في الحروب أبعدت كثيراً عن واجهة المسرح صورة الأبطال. وحالات الكساد الاقتصادي المتكررة ساعدت على شحوب صورة العامل الرجولي. كما أن صعود أنماط مختلفة من الايديولوجيات المحافظة دفع نحو الصفوف الخلفية حس المغامرة. هذه الأمور كلها تزامنت مع التثبيت المتزايد لمبادئ المساواة بين الجنسين وتعاظم الاحتجاج ضد أشكال قديمة من الامتيازات الرجولية.

كل حقبة كان لها قوانينها وقيمها حيال الرجولة ابتداءً من سيادة مفاهيم السيطرة الذكورية في الحقب القديمة حتى حالة الشك وطرح التساؤلات وإصدار أشكال متعددة من النقد في الوقت الحاضر. وتترد في مختلف المساهمات فكرة أن الأسس الجوهرية للرجولة تظهر أنها ثابتة من خلال تأكيد الذات والشجاعة والقوة البدنية.

لكن هناك بالمقابل تبدّل في النظرة إلى الرجولة منذ صورة الفارس على صهوة جواده وحتى فترة ظهور الأسلحة النارية. هذا المسار يعبر عنه المؤرخ آلان كوربان بالقول: بعد انتصار الرجولة في القرن التاسع عشر برزت شيئا فشيئا أزمة حولها لا تزال مستمرة حتى هذا اليوم.

ومن الأفكار الأساسية التي تتكرر في مساهمات هذا الكتاب هناك الربط بين الرجولة ورغبة الاستعراض في إطار القيم الاجتماعية السائدة. وكان نقص الرجولة يثير باستمرار قلق الرجال على خلفية المقارنة مع الآخرين. هذا مع التأكيد على وجود تباين بين الذكورة والرجولة في الغرب.

الذكورة لها أصل لغوي يرمي للتفريق بين المذكّر والمؤنث منذ النصف الثاني في القرن التاسع عشر. أما الرجولة فقد ارتبطت دائماً بقيم العظمة والسيطرة على الذات" والشجاعة والشرف وقبول التضحية. هكذا لا يمكن توصيف جندي يُبدي الجبن في المعركة أنه ناقص الذكورة وإنما ناقص الرجولة.

الكتاب: تاريخ الرجولة
تأليف: آلان كوربان جان جاك كورتين جورج فيغاريللو وآخرون
الناشر: سويل باريس 2011

قائمة أعلى مبيعات الكتب خلال الأسبوع الأخير

تصدرت رواية "الـ ١٨ الانفجاري" لجانيت ايفانوفيتش قائمة صحيفة "نيويورك تايمز" للروايات الأكثر مبيعا سواء للنسخ الورقية أو الالكترونية في الأسبوع الأخير فيما حلت الرواية ذات العنوان الرقمي "١١/٢٢/٦٣" لستيفن كينغ ثانيا. وجاءت رواية "القتل البكس كروس" لجيمس باترسون في المركز الثالث واحتفظت رواية "المتخاصمون" لجون جريشام بالمركز الرابع.

أما المركز الخامس والأخير في القائمة فكان من نصيب "للانتقام ض" التي كانت تتصدر القائمة في الأسبوع السابق.

وعلى مستوى الأعمال غير الأدبية كانت أكثر الكتب مبيعا للنسخ الورقية والالكترونية حسب قائمة النيويورك تايمز للأسبوع الأخير كالتالي:

احتل كتاب "ستيف جوبز..السيرة الحصرية" لوالتر ايزاكسون المركز الأول فيما جاء كتاب "اغتيال لينكولن" لبيل اوريلي ومارتن دوجارد في المركز الثاني.

وجاء كتاب "ان تكون جورج واشنطن" لجلين بيك وكيفن بالف في المركز الثالث، وحل كتاب "الفردوس الحق" لتود بوربو ولين فينسنت رابعا.

وجاء كتاب "بلا توقف" للورا هيلينبراند في المركز الخامس والأخير بالقائمة التي شهدت تغيرا طفيفا بالمقارنة مع الأسبوع السابق.

أطفال صنعوا مجد السينما

كثيرة هي الكتب التي جعلت من السينما وعالمها مواضيع لها. والكاتب والصحافي الفرنسي «فرانسوا غيوم لوران» يقدّم أيضا عملا عن السينما ولكن من زاوية خاصة مكرّسة لـ«أطفال السينما»، كما يقول عنوان كتابه الأخير.

أولئك الأطفال «المشاهير» في لحظة ما عادوا بعد تجربة أو تجربتين في السينما إلى عالم «المغمورين». هذا مع الإشارة إلى استثناءات قليلة مثل «صوفي مارسو» و«شارلوت غينسبورغ» و«جان بيير ليود» وعدد غيرهم ممن بدأوا أطفالا في السينما وأصبحوا نجوما عالميين في سن البلوغ. الآخرون «أخطأوا».

كما يقول المؤلف، طريق الشهرة عند «المنعطف» من المراهقة إلى سن الشباب. لكن المؤلف، الأخصائي بعالم السينما استهوته فكرة البحث عن مصير هؤلاء «المغمورين» اليوم والمشاهير في الأمس. هكذا شرع في نوع من «التحقيق الصحافي» المكرّس لما آلت إليه حياة من ترك من أولئك الأطفال عالم السينما والأضواء إلى عالم «الظلال» والناس العاديين.

لم يجد الجميع بالطبع لكنه «ظفر» بحوالي عشرين «نجما آفلا» ليروي ما عرفته مسارات حياتهم ابتداء من الأعمال السينمائية التي شاركوا فيها وظروفها وتجربة «الشهرة العابرة» و«نظرة الآخرين الثقيلة وصعبة التحمّل» في بعض الأحيان و«حالات الحنين» التي قد يعيشونها والأسباب العميقة التي دفعتهم إلى اختيار «الحياة الطبيعية» أو التي اختاروها بمحض إرادتهم.

فإلى أين آلت مسارات «أطفال السينما»؟

هناك أولا القلة الذين تابعوا مسيرتهم السينمائية فذلك الشاب اليافع ابن الـ ١٤ سنة «جان بيير ليود» الذي شكّل محطة في تاريخ السينما من خلال دوره في فيلم «الـ ٤٠٠ طلقة» يشكل اليوم أحد الاستثناءات النادرة ممن «نجحوا» في المرور من عالم الأضواء في سن الطفولة إليه في عالم البالغين.

و«صوفي مارسو» التي تألّقت في فيلم «بوم» عام ١٩٩٠ استمرّت لتلعب أدوار البطولة أمام كبار الممثلين. لكن بالمقابل أقرب صديقاتها في فيلمها الأول «بينلوبي»، أي شيلا اوكونور في الواقع، تبلغ من العمر اليوم ٤٥ سنة، وتكرّس حياتها للكتابة والإخراج. وقد قالت في تصريح صحافي لها مؤخرا إنه «لم يكن هناك مكان لاثنتين بالنسبة لأضواء تلك الفترة».

و«كاترين دومنجو» التي لعبت دور «زازي» في فيلم لويس مال «زازي في المترو» عام ١٩٦٠ أصبحت فيما بعد أستاذة للاقتصاد. وهي تتجنب إلى أقصى حد أي حديث مع وسائل الإعلام أو الظهور فيها. لكن هذا لا يمنع واقع أن مؤلف الكتاب يبعث لدى قرائه تلك الرغبة بمعرفة ما آلت إليه «زازي» و«مغامرة» البحث عنها.

بالمقابل من كان يتصوّر أن ذلك الطفل المدعو «الان كوهن» الذي كان «مشاغبا» على ظهر الممثل «ميشيل سيمون» عام ١٩٦٦ في الفيلم الجميل الذي أخرجه «كلود بيري» تحت عنوان «الرجل العجوز والطفل»، يمكن أن يصبح أحد الأخصائيين الفرنسيين بالخضار والفواكه النادرة.

وهو الذي يقوم اليوم بتوزيع كميّات منها إلى عدد من كبار المطاعم الباريسية. ولم تتردد شيلا اكونور في القول: «لقد حرصوا على أن أبقى بعيدة عن وسائل الإعلام. ذلك أنه لم يكن يراد أن أبدو منافسة لصوفي مارسو». ورغم أنه عُهد لها فيما بعد بدور في عمل فني كوميدي إلى جانب ممثلين كبيرين هما فابريس لوشيني وباتريك برويل، فإنها أدركت لا تتناظر مع ما كان يبحث عنه مدراء العمل. تقول:

«كانوا يبحثون عن نساء مثيرات. ولم أكن أمتلك قالب صوفي مارسو». وإذا كان «الطفل المتوحش» الأسطوري الذي شاهده الملايين في فيلم المخرج الكبير فرانسوا تروفو عام ١٩٦٩ لا يزال في ذاكرة الكثيرين.

فإن «جان بيير كارغول» الذي قام بالدور لم يعد يعرف عنه شيء. و«اليونور كالاروين» بطلة فيلم «ديابولو بالنعناع» عام ١٩٧٧ تعمل اليوم مديرة لوكالة لـ«عارضات الأزياء». وجاء في تصريح لها قبل فترة وجيزة: «لقد تقاضيت مبلغ عشرة آلاف فرنك فرنسي فقط عن دوري في الفيلم (...). واضطررت في لحظة ما لبيع المبرّدات البوظة- كي أجد بعض النقود.

كانوا يشترون منّي كي أوقّع لهم على إهداء. كانت تلك الفتاة المراهقة قد تركت المدرسة وترددت على الأماكن الباريسية «على الموضة» وأصبحت أمّا في التاسعة عشرة قبل أن تبدأ مسارها المهني الحالي في عالم «عرض الأزياء».

إن هذا الكتاب عن «أطفال السينما» هو أيضا عمل عن الزمن الذي يمضي وتتحوّل معه تلك الوجوه «ذات التقاطيع الجميلة» إلى وجوه «متعبة» تعلوها التقاطيع وأحيانا «هموم الحياة». هذا مع «جنوح» بعض أصحابها إلى تعاطي الكحول والمخدرات وربما مواجهة «الانهيارات العصبية» حيث لم يتحملوا «العيش كمغمورين» بعد لحظات الشهرة التي عرفوها.

الكتاب: أطفال السينما
تأليف: فرانسوا غيوم لوران
الناشر: غراسيه باريس ٢٠١١

شارلوت غينسبورغ

الثقافة في القرن العشرين

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «الثقافة العربية في القرن العشرين حصيلة أولية». يكتب هذا العمل تاريخاً للثقافة العربية خلال مائة سنة (سنوات القرن العشرين) في فروعها كافة: الفكر، العلوم الإنسانية والاجتماعية، اللغة، العلوم، الآداب، والفنون.

وهو يغطي أوسع ما يمكن من مساحات الإنتاج الثقافي العربي، ودائرة أعرض من مدارسه وتياراته ورموزه، مما يوفر للقارئ العربي قاعدة معطيات غنية.

اندرجت مقالات هذا الكتاب في قسمين اثنين: تضمّن الأول منهما (الحصيلة الفكرية): الفكر السياسي (الفكر الإصلاحي الإسلامي، الإحيائية الإسلامية، والليبرالي، والقومي، والماركسي)، والفكر الاقتصادي، والاجتماعي، القانوني، والتاريخي، والفلسفي، والتربوي، والدراسات اللغوية والترجمة، والفكر العلمي، والنقد الأدبي.

وتضمّن الثاني (الحصيلة الأدبية والفنية): الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرح والسينما والموسيقا والغناء والفن التشكيلي.

أعلن المؤرخ البروفيسور نيال فيرغسون الحرب على الناقد بانكاح ميشرا بسبب مقال نقدي له نشر في مجلة «لندن ريفيو اوف بوكس» بقوله «سوف اطارده بشراسة كتابة، بطريقة لم يتعرض لها من قبل»، وقد يجلب هذا السجال بعض البهجة خلال فترة اعياد الميلاد هذه الى اروقة الصحافة الأدبية. لوهلة بدا الأمر وكأن هذا العام سوف يأتي بالسلام للساحة الأدبية، ففي مايو الماضي تصافح ثيرو ونايبول، وفي أميركا تصالح الناقد ديل بيك مع عدوه الذي استمرت العداوة بينهما لفترة طويلة، ريك مودي الذي وصفه ذات مرة بانه «أسوأ كاتب في جيله».

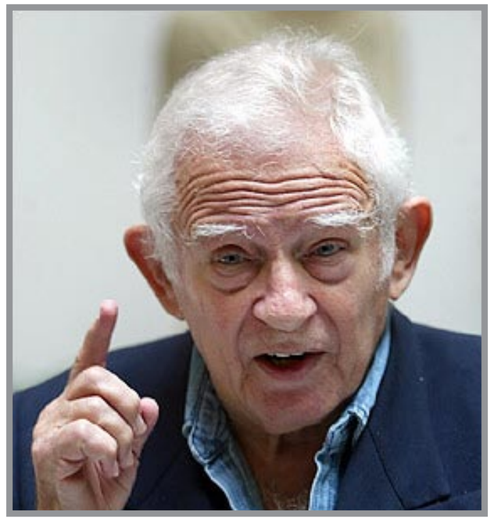

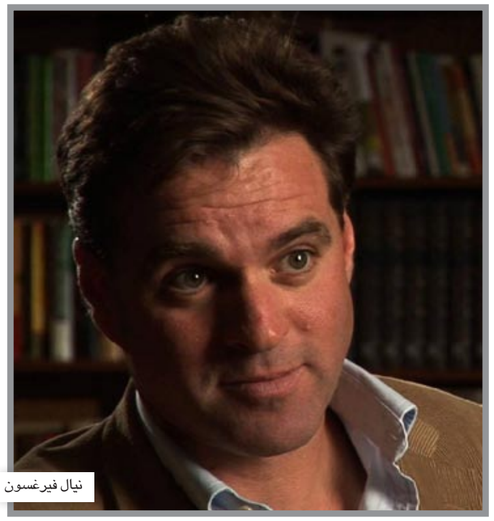

نيال فيرغسون

معارك الأدباء ليست بالكلمات فقط

وبالتالي فان الفضل يعود الى البروفيسور فيرغسون الذي اعاد الى الساحة صخبها، والسؤال الآن: هل سيتحول هذا السجال الى «حرب شاملة»؟ فعلم تصنيف الشجارات الادبية الشهيرة ومن بينها معركة ديكنز ضد ثاكيري وهنري جيمس ضد اتش –جي ويلز، يشمل ثلاثة اصناف أو فئات أساسية.

معركة آيات شيطانية

أولها الشجار الأدبي:

عادة ما يكون الشجار الأدبي نتيجة عرض سيئ او نقد حاد لعمل من الاعمال، مثل عرض المؤلف جون لاكاريه لرواية «آيات شيطانية»، في صحيفة الاوبزيرفر التي تعد نموذجا كلاسيكيا للمقالات التي تثير الشجار الأدبي.

فهذه الحادثة المحلية سرعان ما تحولت الى طريق دولي سريع الانتشار، وذلك عندما القى مشعل النيران الأدبية كريستوفر هيتشنز بالزيت على جمرها الملتهب، وسوف يدرك متابعو المعارك ان ذلك مؤشر على مشاجرة ادبية جيدة بالفعل اي عندما تتورط اطراف اخرى خارجية فيها.

ثارات شخصية

وبعدها يأتي النزاع الشخصي او الثارات الشخصية، وهذه مصدرها ليس مجرد عبارات وجمل سلبية، فالثارات الشخصية تعد حربا لتعزيز النفوذ فيما بين قادة عصابات متنافسة، وبينما نجد ان النقاد البريطانيين اكتسبوا شهرة في استخدام الطعنات القاسية المتقنة، الا ان الاميركيين يعتبرون سادة معارك الثارات الشخصية.

النقد في حفلات العشاء

فالتنافس الذي دار في ما بين الكاتبين الاميركيين غور فيدال ونورمان ميلر ابان مرحلة ما بعد الحرب الثانية لكسب ود القراء والنقاد نقل عداوتهما الى حفلات العشاء، ومناسبات اطلاق الكتب الجديدة، وفي احدى المناسبات التي لا تنسى انتقل ذلك العداء الى استديو احدى المحطات التلفزيونية، حيث وجه ميلر ضربة بالرأس الى فيدال في غرفة انتظار الزوار في المحطة والحقها بلكمة اطاحت بفيدال على الأرض.

والآن، وبعد وفاة ميلر يستطيع فيدال القول انه ما زال يقف على قدميه.

وهنالك ايضا الثارات الشخصية فيما بين الكتاب الاميركيين توم وولف، وميلر وجون ابدايك واير فينغ الذي قال عن روايات وولف بانها «مثل قراءة صحيفة سيئة تجعلك تقشعر».

اما ميلر بتعليقاته التي تميل الى الفكاهة، فقد قارن قراءة احدى روايات وولف بممارسة الحب مع امرأة تزن ١٥٠ كيلو غراما وقال «انك اما ان تقع في حبها او تموت بالاختناق»، وغالبا ما تستمد الشجارات الادبية متعتها من نوعية الذم والقدح المستخدم فيهما.

وننتقل بعد ذلك الى اكثر النزاعات مرارة وسوداوية، في الغابة الادبية وهي مشاهدة النزاعات الثأرية المتجذرة ويشير بعض النقاد في هذا الصدد الى معارك ثيرو ونايبول غير ان تلك كانت بصفة عامة الى شعور ثيرو بعدم الامان وسرعة غضب نايبول، وهو اساسا نزاع ثأري شخصي.

معارك نوبل

ومن بين النزاعات الثأرية الشهيرة معارك ماريو فارغاس يوسا مع غابرييل غارثيا ماركيز والتي سدد خلالهما يوسا لكمة الى ماركيز، وفي الواقع فإن هذين العملاقين الفائزين بجائزة نوبل يتميزان بطبيعة تنافسية عميقة الجذور.

وما جعل نزاعهما يميل الى الشخصية هو اهتمام ماركيز بزوجة لوسا، ومن بين النزاعات الثأرية العميقة، ذلك الذي دار فيما بين تورجنيف ودوستيفسكي.

واذا قارنا هذه المعارك الثقافية بتلك التي تنشب في القارة الاوروبية فإن تلك النزاعات الانغلو اميركية تبدو مجرد شجار بسيط، وللنظر على سبيل المثال الى قضية «عدوين عامين» الشهيرة فالسجال الحاد الذي نشب فيما بين الروائي الفرنسي ميشيل هوليبيك والفيلسوف برنار هنري ليفي امتع ماريس في معظم عام ٢٠٠٨.

وقذيفة البداية التي اطلقها هوليبيك كانت وصفه لغريمه بأنه «متخصص في الحركات البهلوانية الهزلية في الاعلام» ورد برنار ليفي على ذلك بوصفه هوليبيك بأنه «عدمي ورجعي وشكاك، وعنصري، ومعاد للمرأة من دون خجل» واستمرت تلك المعركة لاشهر.

وربما يكون هوليبيك قد قدم وصفاً صحيحا تماما لتلك المعركة ادلى به بصورة عفوية بقوله «لا شيء يجمعنا معاً فيما عدا نقطة اساسية، وهي اننا شخصان جديران بالازدراء والاحتقار».

عن / الاوبزيرفر

الوصايا الأدبية

صدر عن مؤسسة الانتشار العربي كتاب «الوصايا الأدبية الى القرن الرابع هجريا ـ مقاربة أسلوبية حجاجية»، تأليف عبدالله البهلول.

يعقد هذا البحث لدراسة الوصيّة بوصفها جنساً من أجناس القول، له من الوشائج والأسباب ما يُسوّغ انتسابه إلى الأدب واندراجه فيه، وله من الخصائص والمقوّمات ما يبرّر مقاربته مقاربة تبحث في طرائق الأداء ووسائل التعبير، موظفة لغاية الإقناع والتأثير.

وقد اختار المؤلف هذا البحث في الوصيّة لمبرّرات عديدة، منها ما اتّصل بخصائص هذا الجنس القولي ومسوغات انتسابه إلى الأدب، ومنها ما تعلق بأساليب الطلب فيه وطرائق التأثير الإقناع، ومنها ما ارتبط بوضعه النقدي ومكانته في منظومة الأجناس، ومنها ما هو موصول بالعقل العربي القديم في كيفية تفكيره، والمبادئ التي إليها يستند، والغايات التي إليها يقصد. ويتساءل المؤلف إذا كانت الوصية من مادة الأدب قد صيغت، فهل هي جنس من أجناسه كالمقامة والنادرة والخبر والخطبة والرسالة، أم ضرب من الخطابات يخترق أجناساً أخرى؟

هنا برج بابل المشيد من الكتب

بوينس ايرس ومرابعها الثقافية

لقد كانت مقاهي بونيس ايرس عاصمة الارجنتين تستقبل بعض الادباء العظام مثل فيدريكو غارثيا لوركا وبورخيس وغيرها، وما زال هذا هو حالها الى الآن وقد اختيرت هذا العام عاصمة عالمية للكتاب.

ففي الساعة الثامنة صباحاً تجد سيارات الاجرة والحافلات يكتظ بها شارع افينيدا دي مايو، احد شوارع بوينس أيرس الرئيسية حيث تبدأ رحلة الذهاب الى العمل المضنية.

حال الابتعاد عن الارصفة التي تعج بالمارة، والدخول في مقهى كافي تورتوني تختفي الفوضى، والضجيج، ويسود بدلا من ذلك جو من الهدوء والسكينة المريحة.

وترى النادل في غاية الاناقة يقدم وجبة الافطار التقليدية في بونيس ايرس مع ثلاث قطع كرواسان، كما تجد الصحف اكثر حضورا من اجهزة الكمبيوتر المحمولة لدى الزبائن، وهو امر متوقع لان اقدم مقهى في المدينة لديه تقليد ادبي قديم يثير الفخر.

صور على خشب السنديان

على الجدران المغطاة بخشب السنديان تجد صورا، ولوحات توثق تاريخ كتّاب وفنانين كانوا يرتادون هذا المكان طوال اعوام، واحدى الطاولات في زاوية في المقهى تظل مشغولة دائما بثلاثة تماثيل من الشمع لثلاثة من وراد المقهى السابقين، وهم نجم التانغو المشهور بن، وقبل غاردبل والشاعرة المدافعة عن القضايا النسوية الفونسينا ستورني، والكاتب الارجنتيني الذي يرتبط اسمه دوما ببيونيس ايرس يورغي لويس بورخيس.

ولقد ظلت بعض المقاهي مثل مقهى تورتوني تلعب دورا اساسيا في الحياة الادبية لبوينس ايرس، كذلك الذي لعبته بعض المقاهي في باريس التي غالبا ما تقارن بها هذه المدينة.

بيد انه عند النظر الى شارع افينيدا دي مايو والمباني العريقة والاشجار على جانبيه، فإن ذلك يعطي المرء الاحساس بأنه في مدريد او برشلونة.وعلى بعد بضع دقائق من كافي تورتوني يقع فندق كاستيلار.

غارثيا لوركا

ومن اشهر الشخصيات التي اقامت فيه الشاعر الاسباني فيدريكو غارثيا لوركا، حيث قضى فيه ستة اشهر في عام ١٩٣٣ والغرفة رقم ٧٠٤ التي قضى فيها تلك الفترة تحولت الى متحف يضم بعض قطع الأثاث التي تعود الى تلك الفترة الزمنية ورسوم جدارية تحتفي بكتاباته، وينظم الفندق جولات لزيارتها كل ارباء بصحبة مرشدين سياحيين، ويعتبر بورخيس ايضا احد نزلائه من الادباء المشهورين، وقبل عامين اعاد فندق كاستيلار كجزء من برنامج مجلس المدينة احياء تقليده الادبي المتمثل في توفير نسخ مجانية من اعماله لمرتادي الفندق لقراءتها في الحانة. وهنالك مبنى بالاسيو بارولو وهو مبنى من الطراز الحديث، يبعد قليلا عن شارع افينيدا دي مايو، وهذا المبنى عندما شيد في اوائل العشرينات كان الاطول في اميركا الجنوبية.

الكوميديا الالهية

وقد اقامه رجل الاعمال الثري لويس بارولو وهو مهاجر ايطالي يحب كثيرا قصيدة «الكوميديا الالهية» للشاعر دانتي اليغري، وقد استوحاها في ابعاد المبنى وتصميمه. فارتفاعه الذي يبلغ مائة متر يعادل عدد الاغاني المضمنة في القصيدة، كما تم تقسيم البرج الى ثلاث مراحل تمثل رحلة دانتي من الجحيم، عبر المطهر الى الجنة.

ويعد برج بارولو احد الامثلة التي تشير الى جدية بوينس ايرس عندما يتعلق الأمر بالادب. ففي حديقة الشاعر في وسط الحدائق في منطقة بالبرمو الخضراء في المدينة، تجد التماثيل النصفية لادباء الارجنتين مثل الفونسينا ستورني يقف قرب شكسبير، والاسباني انطوني ماشادو بين احواض الزهور. وبالنسبة للزائر او السائح المهتم بالادب، نظمت سلطات السياحة ايضا عددا من المسارات الادبية التي تقوده عبر الشوارع والمباني، التي تظهر في اعمال الكتاب المرتبطين بالمدينة، مثل يورغي لويس بورخيس وخوليو كورتازار وروبيرتو أرلت.

معرض الكتاب

كما ان المدينة لديها معرض كتابها الدولي السنوي الذي افتتح في عام ١٩٧٥، وقد تحول الآن الى اضخم حدث في نوعه في عالم الدول المتحدثة بالإسبانية. وهي مناسبة تجمع الكتّاب والناشرين والقراء معا.

وتجرى خلالها الندوات والمناقشات، ويتم فيها اطلاق الاعمال الجديدة والتوقيع على الاصدارات الحديثة، وقد تمكن زوار المعرض خلال هذا العام من لقاء ماريو فارغاس يوسا الحائز على جائزة نوبل للاداب والاستماع لقراءات مارائونية حول اعمال ادبية تناولت مدينة بوينس ايرس. وفي ساحة بالازاسان مارتين هنالك صرح فني من سبعة طوابق، اطلق عليه اسم «برج بابل» وهو مشيّد من كتب فقط، جلبت من عدة دول حول العالم وذلك كجزء من الاحتفال باختيار بوينس ايرس كعاصمة للكتاب في العالم لهذا العام.

بعد الفرار من فرانكو

وفي موازاة شارع افينيدا دي مايو وقريبا منه الى الشمال يقع شارع كورنيتيس الذي يعج بالمكتبات ودور السينما، وفي احدى المكتبات التي كانت في السابق دارا للسينما،

قال لي المدير ان العديد من المكتبات في ذلك الشارع ظهرت ابان الثلاثينات من القرن الماضي، وقد اقامها المثقفون الليبراليون الاسبان ممن فروا من اسبانيا في عهد فرانكو. ومكتبته التي تحمل اسم «لوسادا» مملوءة بالروايات الصادرة في الارجنتين وفي غيرها من دول اميركا اللاتينية، وبعضها روايات مترجمة، ويبدو ان الاكثر رواجا الروايات الاخيرة للروائي ماريو فارغاس يوسا البيروفي الحائز على نوبل وكذلك روايات الايطالي امبيرتو ايكو.

واثناء تجولي لمسافة ليست بالبعيدة على طول شارع كورنيتيس، احصيت حوالي عشرين مكتبة لبيع الكتب. ولكن عليك الذهاب الى افينيدا سانتافي لزيارة افخم مكتبة وهي في مبنى شيد في عام ١٩١٩ كمسرح.

موقع معرض الكتاب السنوي

أدب المهجر

صدر عن الدار التقدمية كتاب «أدب وأدباء المهجر البرازيلي»، تأليف أسعد زيدان.

يدخل هذا الكتاب القارئ في معرفة عميقة بالأدب المهجري، البرازيلي تحديداً، الذي ارتبط ارتباطا وثيقاً بالمعاناة التي رافقت اللبنانيين في اختيارهم القسري والطوعي للذهاب إلى دنيا الاغتراب، لأسباب ولظروف تعدّدت أشكالها ومصادرها.

وأول ما يدهش في الكتاب في قسمه الأول هو ذلك الكم الكبير من المعلومات التي يقدمها أسعد لتلك الظروف والأسباب التي دعت اللبنانيين إلى الاغتراب، والكمّ الكبير من المعلومات عن المعاناة التي واجهتهم في طريقهم إلى تلك البلدان التي يجهلون كل شيء عنها، والمعاناة التي واجهتهم عندما دخلوا في حياتهم الجديدة في عالم الاغتراب.

ويفرق أسعد بوضوح في حديثه عن تاريخ الاغتراب بين حقبتين منه، الحقبة الأولى هي التي بدأت في ظل السلطنة العثمانية، أما الحقبة الثانية فتعود إلى فترة الانتداب التي امتدت لتطال فترة الاستقلال وصولاً إلى الزمن الحالي.

مذكرات الساسة العراقيين.. حنين لماض غابر

السيد محسن أبو طبيخ

هل ثمة وظيفة ابداعية، سياسية، أيديولجية لكتاب يذهب مؤلفه، السياسي السابق، نحو السيرة؟، أو لنصغ السؤال صياغة ثانية فنقول: ما هدف السياسي المتقاعد، أو المقصي برغم أنفه عن ميادين السياسة، لكتابة مذكراته؟ هذا السؤال هو أول الاسئلة التي تتبادر إلى ذهن القارئ، العراقي على وجه الخصوص، وهو يلحظ كم الإصدارات التي كتبها سياسيون سابقون أو متقاعدون أو مقصيون عن السياسة العراقية، هذه الإصدارات التي راجت بشكل كبير في السنوات العشر الأخيرة وأقبل عليها القراء ورحبت بها دور النشر العربية بالرغم من حديث هذه الدور المتكرر عن كساد الكتاب العربي وندرة قارئه. لا شك أننا أمام ظاهرة، ليست فريدة بالطبع ولكنها لافتة، يصبح فيها السياسيون المتقاعدون زُجوما من جديد بعد أن أفل زُجمهم لأسباب شتى. ولكن هذه الظاهرة لم تكن عربية خصوصا، بل عراقية بامتياز. لقد صدرت في السنوات القليلة الماضية، عقد تسعينيات القرن الماضي بلغة أدق، مجموعة كبيرة من كتب المذكرات السياسية التي كتبها مشتغلون في السياسة العراقية من صحفيين أو مؤسسي أحزاب أو وزراء أو عسكريين أو رجال سياسة بمختلف اتجاهاتهم ومشاربهم. وهي كتب كثيرة جدا، يمكن الاشارة هنا إلى عدد منها لأغراض التسجيل لا الحصر: محمد جعفر أبو التمن لمؤلفه الدكتور خالد التميمي، الأحزاب السياسية في العراق لهادي حسن عليوي، عراق 8 شباط (مذكرات طالب شبيب)، مذكرات السيد محسن أبو طبيخ، الأمير عبد الإله، أوكار الهزيمة لهاني الفكيكي، ذاكرة عراقية لرافائيل بطي، كامل الجادرجي ودوره في السياسة العراقية، مذكرات أحمد مختار بابان، سعيد قزاز ودوره في سياسة العراق، من الذاكرة لصالح مهدي دكلة، الأمير عبد الإله صورة قلمية، الحزب الوطني الديمقراطي العراقي في العهد الملكي، سيرة ومذكرات ضياء جعفر والعديد من الكتب لعزيز الحاج وحسن العلوي وكنعان مكية... آلخ.

عبد الخالق كيطان

هذا بالاضافة إلى عشرات المقالات الصحفية التي نشرت في غير جريدة وتصب في نفس السياق كتبها سياسيون عراقيون مثل عزيز الحاج ومعاذ عبد الرحيم وهارون محمد وحسن العلوي وعلاء الظاهر وباقر ياسين وسعد البزاز وتوفيق الياسري واسماعيل القادري ومجاهد السامرائي وغيرهم ما سبب سجالاً متواصلاً حول (تاريخ العراق المعاصر) و (واقع العراق الآن) شهدته الصحافة العربية والمهاجرة منها في لندن على وجه الخصوص. بالإضافة إلى ما أصدره المثقفون والسياسيون الأكراد، وسجالاتهم المشابهة في الموضوع ذاته. لكن لماذا هذا السيل من كتب المذكرات في هذا الوقت بالذات؟ هل نوع من الحنين لماض غابر، خاصة وأن أغلب مؤلفي هذه الكتب وأصحاب تلك السجالات يعيشون خارج العراق منفيين عن وطنهم؟... ثم هل استطاعت تلك السجالات أن ترسم صورة لمستقبل العراق أم أنها ظلت تدور في فلك الاستذكارات والوجدانيات فقط؟... وثمة سؤال ثالث، قد يبدو خارج المتن، مفاده: هل صدور هذا الكم من كتب السيرة والمذكرات السياسية له صلة بأفول نجم القيادة العراقية الواحد نفسه، وتلك مفارقة تستدعي التأمل، فالواجب الوطني قبل أي واجب آخر يدعو هؤلاء السياسيين لا إلى كشف أخطاء تجاربهم وحسب، بل والعمل على صياغة نقاط الوفاق مع الأحزاب والقوى المعارضة الأخرى اليوم ما دام الجميع أصبح يتفق على شعارات واحدة تنادي بإقامة البديل الديمقراطي في العراق بعد عقود الخراب والاحتراب والعنف المتبادل. وتقودنا القراءة المستمرة لهذه الإصدارات إلى اكتشافات مهمة أخرى، منها على سبيل المثال أن أغلب المؤلفين يذكرون شخصيات معينة لعبت دوراً بارزاً في تاريخ العراق السياسي بشكل طيب، ويقف على رأس هذه الشخصيات: كامل الجادرجي وجعفر أبو التمن، ومعروف أنهما من جماعة الحزب الوطني الديمقراطي. فيما تراوح حكم المؤلفين على شخصيات أخرى بارزة، كالوصي عبد الإله ونوري السعيد وميشيل عفلق وعادل سلام وعبد الكريم قاسم ومحمد حديد بين مهاجم بشدة ومؤيد بشدة، واتفق الجميع على ان شخصية الرئيس العراقي الحالي، أو الرئيس الأسبق أحمد حسن البكر، لم تلعبا أثراً بارزاً في صياغة الفكر البعثي في العراق بل كانت نتاج تكتلات غير فكرية (عشائرية) هدفها الاستحواذ على الحكم ليس إلا، واتفق هؤلاء المؤلفون أيضاً في هذا السياق على القمع اللا محدود الذي مورس بحق العراقيين في سنوات حكم البكر وصدام على وجه التحديد دوناً عن سواها من سني حكم الرؤساء والملوك الأحزاب الشيوعية والبعثية والقومية والدينية والديموقراطية، كما ألقت الضوء على فترات معينة من فترات الصراع السياسي في العراق مثل وزارات العهد الملكي وعهد عبد الكريم قاسم ثم حكم حزب البعث العربي الاشتراكي الذي تواصل لأكثر من أربعة عقود حكم فيها العراق أربعة رؤساء للجمهورية. ومن خلال ذلك ألقت تلك الكتب الضوء على سير رجال كان لهم دورهم في صنع تاريخ العراق السياسي المعاصر، سواء أكان هؤلاء الرجال ممن ينتصرون لثوابت وطنهم ورفاه أبناء شعبهم أم العكس.

ومن الملاحظ ان خلافات الرأي، التي وصلت لدى البعض بشدة بين مؤلفي بعض تلك الكتب لأن يقمع أحدهم الآخر، أو يصفيه جسدياً (تجربة العنف المتبادل بين الشيوعيين والبعثيين على سبيل المثال) قد استمرت في متون كتب سيرهم ومذكراتهم، حيث يحاول كل فريق من الفرق المتخاصمة نقل خلافات الأربعينيات الأيديولوجية وما تلاها إلى اليوم، كما نقلت إلى هذه الكتب خلافات أخرى بين أعضاء الحزب الواحد نفسه، فالواجب الوطني قبل أي واجب آخر يدعو هؤلاء السياسيين لا إلى كشف أخطاء تجاربهم وحسب، بل والعمل على صياغة نقاط الوفاق مع الأحزاب والقوى المعارضة الأخرى اليوم ما دام الجميع أصبح يتفق على شعارات واحدة تنادي بإقامة البديل الديمقراطي في العراق بعد عقود الخراب والاحتراب والعنف المتبادل. وتقودنا القراءة المستمرة لهذه الإصدارات إلى اكتشافات مهمة أخرى، منها على سبيل المثال أن أغلب المؤلفين يذكرون شخصيات معينة لعبت دوراً بارزاً في تاريخ العراق السياسي بشكل طيب، ويقف على رأس هذه الشخصيات: كامل الجادرجي وجعفر أبو التمن، ومعروف أنهما من جماعة الحزب الوطني الديمقراطي. فيما تراوح حكم المؤلفين على شخصيات أخرى بارزة، كالوصي عبد الإله ونوري السعيد وميشيل عفلق وعادل سلام وعبد الكريم قاسم ومحمد حديد بين مهاجم بشدة ومؤيد بشدة، واتفق الجميع على ان شخصية الرئيس العراقي الحالي، أو الرئيس الأسبق أحمد حسن البكر، لم تلعبا أثراً بارزاً في صياغة الفكر البعثي في العراق بل كانت نتاج تكتلات غير فكرية (عشائرية) هدفها الاستحواذ على الحكم ليس إلا، واتفق هؤلاء المؤلفون أيضاً في هذا السياق على القمع اللا محدود الذي مورس بحق العراقيين في سنوات حكم البكر وصدام على وجه التحديد دوناً عن سواها من سني حكم الرؤساء والملوك السابقين للعراق. واتفقت تلك المؤلفات أيضاً على شخصية عبد السلام عارف (الرئيس العراقي بعد شباط ١٩٦٣) وميله المبكر للأضواء التي من المؤمل أن تمنحها له السلطة.

وكان كتاب حنا بطاطو الكبير: الطبقات الاجتماعية في العراق، هو أبرز الكتب التي اعتمدها بعض المؤلفين في كتابة بحث تاريخي إلى جوار السيرة الذاتية، وقد صدر الكتاب لأول مرة في العام ١٩٧٢، ثم صدرت ترجمته العربية في العام ١٩٩٢، ومنذ ذلك التاريخ اصبح كتاب بطاطو مرجعا لا غنى عنه لدراسة تاريخ العراق السياسي المعاصر، إلى جانب كتاب تاريخ الوزارات للحسني ولمحات اجتماعية لعلي الوردي.

ومن الملاحظات السريعة التي تسجل على تلك الكتب تركيزها في الموضوع السياسي دون سواه بالرغم من كونها كتب سيرة أصلاً، إذ لم يستطرد مؤلفوها بالحديث عن النواحي الاجتماعية والثقافية أو الطبقية التي يتحدرون منها، وإن فعلوا ذلك فعلى استحياء، أو فضلوا التركيز على خلفياتهم الاجتماعية والبيئة التي انحدروا منها (كتاب صالح دكلة على سبيل المثال). وبالرغم من إدانة أغلب الكتب التي صدرت في هذا الإتجاه لعمليات القتل والسحل والسلب التي كانت تجري بتحريض من الأحزاب بشكل أو بآخر أثناء محاولات الثورة أو الانتفاض أو الانقلاب، فإن أحداً من مؤلفي تلك الكتب لم يرسم تصوراته المنطلقة من خبرات سياسية كبيرة لما يمكن أن يحدث في العراق اليوم إذا ما وضع العراقيون وأحزاب معارضتهم في ظروف الانقلاب والانتفاض والثورة المشابهة لتلك التي عاشها المؤلفون. وفي تقديرنا إن احدى مهمات السيرة الكثيرة هي الانطلاق من الماضي نحو استشراف المستقبل.

وتؤكد تلك الإصدارات من جديد على حقائق كان يعيشها العراقيون وأصبحت اليوم نوعا من الأحلام الطوباوية، ومن ذلك مثلا كثرة الأحزاب السياسية المعارضة التي تعمل داخل البلد، ثم وضع البرلمان العراقي الذي يصفه بعض مؤلفي تلك الكتب بصفات كثيرة لم تصل بأي حال من الأحوال لما يوصف به البرلمان العراقي اليوم. أما مشاركة المرأة العراقية في المسرح السياسي فتجدها في صور شتى، وخاصة مع الحزب الشيوعي العراقي (الدكتورة نزيهة الدليمي مثلاً، والتي أصبحت وزيرة للبلديات في حكم عبد الكريم قاسم)، وكذلك حرية الصحافة النسبية وتعددها وجو الحوار الذي كان يسود حتى بين المتخاصمين أنفسهم عندما يكونون في السلطة مما لا يوجد له مثيل اليوم.

هذه هي أهم المحاور التي يخرج بها القارئ، غير المتخصص، من تلك الكتب، وهي محاور تلقي الضوء ولا شك على حال العراق اليوم، وربما الأسباب الحقيقية للمأسي التي يعيشها العراقيون منذ نحو نصف قرن مضى، وقد تميزت بعض الكتب بنقد كبير وموضوعي لتجربة أصحابها عندما كانوا في صفوف المعارضة أو بعد أن تسلموا السلطة (هاني الفكيكي على سبيل المثال) فيما رسم بعض تلك الإصدارات صورة مفاجئة للجمهور عن شخصيات بعينها كانت وما زالت توصم بغير ما يصورها الكاتب (كتاب الصورة القلمية للوصي بقلم سكرتيره السيد عطا عبد الوهاب). وقد تكون موجة كتب السيرة والمذكرات هذه تمثل ردا معقولا على مقولات (إعادة كتابة تاريخ العراق المعاصر) التي شرع في تنفيذها النظام الحاكم في العراق منذ أكثر من عشر سنوات والتي لم ترق لصناع الحدث الذين يعيشون في المنفى.

وأخيرا: هل استطاعت تلك الإصدارات أن تفك ألغاز الكثير من مفاصل النظام السياسي في العراق المعاصر؟.. ينبغي الاعتراف هنا بنسبية ذلك، ولكن المؤسف في الأمر حقاً إن الكثير من الأسرار ما زالت بحاجة ماسة لإماطة اللثام عنها من أجل صنع تصور معقول لغد البلاد الذي يوشك على الشروق

نوري السعيد

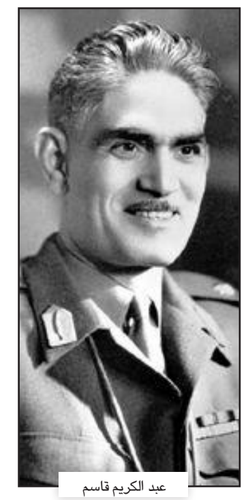
عبد الكريم قاسم

فيصل الثاني

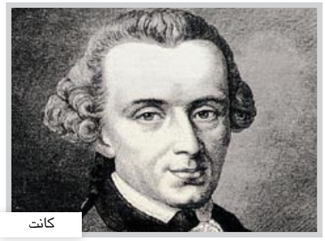
كانت

موليير

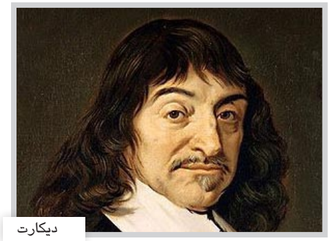
ديكارت

بلزاك

تشيخوف

فولتير

ترجمة: أسامة أبو الوفا - عرض / اوراق

وسط الكم الهائل من المطبوعات، يجد القارئ نفسه في حيرة، ماذا ينتقي وأي الكتب ينبغي أن يبدأ رحلته الثقافية بها ليكوّن خلفية ثقافية ينطلق منها مواكباً ثقافة وعلوم العصر في الغرب كان هذا الدليل.. ولكن ألا يحتاج القارئ العربي إلى دليل مماثل؟ صدر هذا الدليل لأول مرة سنة 1932 على شكل نشرة صغيرة تضم أهم الكتب التي صدرت في فروع المعرفة المختلفة في فترة معينة. وظلت هذه النشرة تزداد وتراجع حتى أصبحت كتابا متكاملا صغيرا نشر في طبعة شعبية سنة 1947، ليجد إقبالاً كبيراً وليصبح مرجعاً ودليلاً للقرّاء والكتّاب والمكتبات العامةوتطور الكتاب في طبعاته اللاحقة التي كانت تراجع وتمحّص كل أربع سنوات على يد مجموعة من المفكرين والكتاب، بلغ عددهم في طبعته الأخيرة هذه الطبعة الثالثة والعشرين 34 مفكرا وناقدا وأديبا، لتشمل أهم الكتب التي صدرت في كل فرع من فروع المعرفة، منذ بداية التاريخ المكتوب للإنسان في اليونان القديمة 800 ق.م، حتى نهاية القرن العشرين.

دليل القارئ إلى الثقافة الجادة

ويشتمل الدليل على خمسة أقسام بالإضافة إلى قسم خاص يتعلق بكتب المراجع كالموسوعات والقواميس وما شابهها.

وتتناول الأقسام الخمسة على التوالي:

١ فترات تاريخية وتشمل: اليونان القديمة، روما، العصور الوسطى، عصر النهضة والإصلاح، القرن السابع عشر، والقرن الثامن عشر.

٢ الثقافة الإقليمية وثقافة الأقليات:

ويشتمل هذا القسم على:

الشرق الأوسط: الأدب العربي، والفارسي، والتركي، والأرمني، والعبري.

شرق وجنوب شرق آسيا: اليابان، الصين، الهند، والشعوب الأخرى. إفريقيا- أمريكا اللاتينية - وثقافة الأقليات المختلفة في الولايات المتحدة.

٣ الأنواع الأدبية: الرواية بأنواعها المختلفة، القصة القصيرة، الشعر، المسرح، التراجم، المقالات، الرسائل، النقد، اللغة، وسائل الاتصال، المجلات.

٤ العلوم الإنسانية والاجتماعية:

الفنون البصرية وفنون الأداء الرسم، الهندسة والموسيقى والأوبرا والرقص والتصوير والسينما، الفلسفة، علم النفس، الدين، التاريخ، السياسة، الاقتصاد، الإنثروبولوجيا، علم الاجتماع، الدراسات النسائية.

٥ العلوم: الفيزياء، الرياضيات، الكيمياء، الجيولوجيا، والعلوم البيولوجية بأنواعها المختلفة ثم علم الكمبيوتر- والدليل بشكله الحالي، يُعتبر مرجعاً أساسياً، يوضع في المكتبات العامة بجانب دوائر المعارف والقواميس، حيث يمكن الرجوع إليه للبحث عن أهم الكتب في موضوع ما، وكدليل لشرائها أيضاً.

وقد يتساءل البعض: لماذا القراءة بالاستعانة بدليل في سن الشباب كنّا نسأل دوماً من هم أكبر منا سناً وأكثر دراية بعالم الكتب والقراءة، عما يمكن أن نقرأ من كتب في فرع أو آخر من فروع المعرفة، وأذكر أننا في القليل من المرّات كنا نحصل على إجابة شافية. وأستطيع أن أقول الآن إنه بقليل من التنظيم وبعض الإرشاد، كان يمكن أن نوفر الوقت والجهد ونحصل على القدر نفسه من المعلومات والمعارف والمتعة أيضا.

إنها طريقة سهلة غير رسمية لبرمجة ثقافة المرء الفعلية خاصة للشباب حيث يمكن للمرء أن يتتبع موضوعاً ما أو أكثر لفترة من الزمن، وهو على يقين أنه لا يضيع وقته أو جهده. فكل المعارف البشرية موجودة في الكتب، لكن لا أحد في إمكانه «قراءة كل الكتب الجيدة حتى في موضوع تخصصه، أما الموضوعات «الأخرى فهو بحاجة إلى مرشد أو دليل. فقد نبرع في موضوع تخصصنا لكن لا نعي بسهولة المساحات الواسعة من المعرفة التي لم نختبرها، كلما قرأ المرء أكثر أصبح أكثر التصاقا ومعرفة بالحياة ،والناس، وإذا عزم أن يسير في طريق المعرفة الثقافية المستمرة،فمن الأفضل أن يضع هدفاً أمامه ويصمم عليه دون الالتفات إلى العقبات أو المثبطات. كذلك، فإن اختيار الكتب لا بد أن يتوافق مع احتياجات المرء واهتماماته المتغيّرة، وبالتالي يجب أن تكون هناك خطة ما، فالقراءة العشوائية نادرا ما تكون مفيدة، لكن ليس معنى ذلك أن يكون البرنامج صارماً، فلا يجبر المرء نفسه على قراءة كتاب لا يستمتع به، فهناك الكثير من الكتب الجيدة في العالم، وفي شتى الموضوعات، ومن العبث أن يضيع المرء وقته في كتاب لا يمتعه أو يفيده. فإذا اختار المرء كتاباً ثم وجده ممِلاً، فعليه أن يعيده إلى الرّف ويختار كتاباً آخر. وإذا تضايق من كتاب اتفق الثقات على أنه مهم ويجب أن يُقرأ، فليكن عادلاً مع نفسه، ويعترف بأن القصور ليس في الكتاب، وغالبا الكتاب الذي يبدو الآن مملاً أو صعباً، سيكون أسهل فهما وإمتاعا حين تزداد ثقافة المرء. فأحيانا يتضايق الشباب، ممن لا يقرأون كثيرا، من صعوبة كتب مهمة، لأن الخلفية الثقافية تنقصهم، وهي أمر مهم لمقابلة المؤلف في مستواه الثقافي، وهذه الصعوبة ستصحح نفسها بمرور الزمن ومداومة القراءة. حتى نزيل الصدأ.

وقد وضع الاختصاصيون برنامج قراءة إذا واظب المرء على تطبيقه، فلن يعلو الصدأ خلايا مخّه، وسيكون دوماً في بؤرة الأحداث التي تدور حوله في العالم. يتلخص هذا البرنامج في النقاط الأربع التالية:

١ – كتاب واحد جيد أسبوعيا على الأقل جريدة أو مجلة عادية سيارة مجلة للتحليل والتعليقات مجلة لمراجعة الكتب والدليل ليس قائمة كتب أو كتالوجا، إنه منهج في القراءة، والمهم هو ما تستطيع أن تفعله بمعرفتك الجديدة واختياراتك، وكيف تربطها بما تجربه أو جربته وقرأته. إن ما تقرأه هو مقياس لمستواك الثقافي والمعرفي والوسيلة لرفع هذا المستوى والمعرفة. وقد حدد المحرر الأساسي لمراحل الهدف من الدليل بقوله: كي نقود أفواجاً متزايدة من الناس لتذوق الكتب العظيمة المفيدة، وإلى أولئك الذين يسعون لإثارة الأماكن المظلمة في فهمنا لنفوسنا وعالمنا المعقّد، وإلى أولئك الذين يهدفون، ببساطة، إلى المتعة.

هل نحتاج إلى دليل الدليل، مكتوب بالدرجة الأولى بالطبع، لابن الحضارة الغربية الحضارة السائدة الآن، وأرى أنه من الضروري أن يكون هناك دليل آخر موازٍ له، يتعلّق بأهم الكتب في الثقافة العربية حتى تعم الفائدة. ومن الطريف، أن المشاركين في الدليل، قد أضافوا بعض الملاحق له، من بينها أهم مائة كتاب في تاريخ الحضارة البشرية من وجهة نظرهم.

وأهم مائة كتاب في تاريخ الحضارة البشرية، مستخلصة من حوالي ثلاثة آلاف كتاب، على رأسها بالطبع الكتب المقدسة في الديانات الثلاث: القرآن والتوراة والإنجيل، وأما بقية المائة، فيجب الأخذ في الاعتبار، أنها في النهاية وجهة نظر.

أهم الكتب وفقا للعصور:

العصور القديمة:

١ – إيسخيلوس : الأورستيا .
٢ – أيسوب : الخرافات .
٣ – أريستوفان : الموميديات .
٤ – أرسطو : الأخلاق .
٥ – كونفوشيوس : المختارات .
٦ – أيوريبيدوس : المسرحيات .
٧ – هومر : الإلياذة والأوديسا .
٨ – لاو شو : الطريق الصحيح (الطاوية) .
٩ – لوكريشيوس : في طبيعة الأشياء .
١٠ – أفلاطون : الجمهورية والمأدبة .
١١ – بلو تارك : حيوات متوازية .
١٢ – سوفوكليس : مسرحيات طيبة .
١٣ – ثيوكيديدس : الحرب البلوبونيزية .
١٤ – فرجيل : الإنيادة .

العصور الوسطى وعصر النهضة :

١٥ – مجهول : ألف ليلة وليلة .
١٦ – بيكون : المقالات .
١٧– بوكاشيو : ديكاميرون .
١٨ – سرفانتيس : دون كيشوت .
١٩ – تشوسر : حكايات كانتربري .
٢٠ – دانتي : الكوميديا الإلهية .
٢١ – ميكافيللي : الأمير .
٢٢ – مالوري : موت آرثر .
٢٣ – مونتين : المقالات .
٢٤ – توماس مور : يوتوبيا .
٢٥ – عمر الخيام : الرباعيات .
٢٦ – شكسبير : الأعمال الكاملة .
٢٧ – رابيليه : جارنجنتوا وبانتا جرويل .

القرنان السابع عشر والثامن عشر :

٢٨ – بوزويل: حياة صمويل جونسون .
٢٩ – بنيان : رحلة الحاج .
٣٠ – بيرنز : القصائد .
٣١ – ديفو : روبنسن كروزو .
٣٢ – ديكارت : مقال في المنهج .
٣٣ – دون : القصائد .
٣٤ – فيلدنج : توم جونز .
٣٥ – هاملتون مع آخرين : أوراق فيدرالية
٣٦ – جيبون : انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية .
٣٧ – كانت : نقد العقل الخالص .
٣٨ – لوك : مقال يتعلق بالفهم الإنساني .
٣٩ – مالتوس : بحث في مبادئ السكان .
٤٠ – ميلتون : الفردوس المفقود .
٤١ – موليير : الكوميديات .
٤٢ – بين : حقوق الإنسان .
٤٣ – روسو : العقد الاجتماعي .
٤٤ – سميث : ثروة الأمم .
٤٥ – سبينوزا : الأخلاق .
٤٦ – ستيرن : ترسترام شاندي .
٤٧ – سويفت : رحلات جيلفر .
٤٨ – فولتير : كانديد .

القرن التاسع عشر :

٤٩ – أوستن : الكبرياء والهوى .
٥٠ – بلزاك : أبوجين جرانديين .
٥١ – براوننج (روبرت) : القصائد .
٥٢ – بيرون : القصائد .
٥٣ – تشيخوف : المسرحيات .
٥٤ – دارون : أصل الأنواع .
٥٥ – ديكنز : ديفيد كوبر فيلد .
٥٦ – ديكنسون : القصائد .
٥٧ – دوستويفسكي : الأخوة كارامازوف .
٥٨ – أليوت (جورج) : ميدل مارش .
٥٩ – إمرسون : المقالات .
٦٠ – فلوبير : مدام بوفاري .
٦١ – جوته : فاوست .
٦٢ – هاردي : تيس من آل دوربرفيل .
٦٣ – هوثورن : الحرف القرمزي .
٦٤ – هوجو : البؤساء .
٦٥ – إبسن : المسرحيات .
٦٦ – كيتس : القصائد .
٦٧ – ماركس : رأس المال .
٦٨ – ميلفيل : موبي ديك .
٦٩ – نيتشه : إرادة القوة .
٧٠ – اجار آلان بو : القصص القصيرة .
٧١ – شيللي : القصائد .
٧٢ – ستندال : الأحمر والأسود .
٧٣ – ثاكيري : فانيتي فير .
٧٤ – ثورو : والدن .
٧٥ – تولستوي : الحرب والسلام .
٧٦ – توين : مغامرات هكلبري فن .
٧٧ – ويتمان : أوراق العشب .
٧٨ – وردزورث : القصائد .
٧٩ – زولا : جيرمنال

القرن العشرون :

٨٠ – سيمون دوبوفوار : الجنس الثاني .
٨١ – بورخس : التيه .
٨٢ – أليستين : معنى النسبية .
٨٣ – أليسون : الرجل الخفي .
٨٤ – ت. س. أليوت : المسرحيات والقصائد
٨٥ – فوكنر : الصخب والعنف .
٨٦ – فريزر : الغصن الذهبي الجديد .
٨٧ – جارثيا ماركيز : مائة عام من العزلة .
٨٨ – همنجواي : والشمس تشرق أيضا .
٨٩ – هنري جيمس : السفراء .
٩٠ – جيمس جويس : عوليس .
٩١ – د. ه. لورنس : نساء عاشقات .
٩٢ – توماس مان : الجبل السحري .
٩٣ – يوجين أونيل : المسرحيات .
٩٤ – بروست : البحث عن الزمن الضائع .
٩٥ – جورج برنارد شو : المسرحيات .
٩٦ – فرجينيا وولف : إلى الفنار .
٩٧ – وليم بتلر ييتس : القصائد .

عشرينات القرن العشرين البغدادية

امل بورتر تعيدها للاذهان في روايتها (دعبول)

شكيب كاظم

تعيد قراءة (دعبول) الرواية القصيرة التي شاءت كاتبتها امل بورتر ان تطلق عليها وصف (قصة) تعيدك الى بغداد العشرينات من القرن العشرين الماضي يوم كانت الحياة بسيطة هادئة لم يضربها هذا التسارع الحضاري واللهاث الاقتصادي الذي ضرب كل مناحي الحياة على مستوى العراق والوطن العربي والعالم ولقد جعلت الكاتبة العراقية المهاجرة امل بورتر من الشخصية البغدادية الكرخية المعروفة (دعبول) محور روايتها القصيرة هذه لكن بتصرف واضافة، فدعبول الشخصية الفكية الكرخية المعروفة معاقر الخمر الدائم عدا ايام الحرم الحرام وشهر رمضان المبارك والعازب والراوي الجميل للفكاهات ظهر في الرواية على غير الصورة الحقيقية شخصية حادة متفكرة وهذا من حق الروائية، فالسرد الروائي لايعني النقل الحرفي لوقائع الحياة ومسيرة الشخصية الرئيسة فيها، فللسرد ظروفه وطرائقه ووسائله لكن احببت الاشارة لغرض التوضيح خدمة لتأريخ شخوصنا ذا كان دعبول صديقا حميما للمرحوم ابي كما اني كنت اجالسه في مقهى سليم المطلة على نهر دجلة الخالد او غيرها من مقاهي الكرخ عند جسر الشهداء حتى وفاته رحمه الله في خريف ١٩٧١ بسبب كبر السن مع انه ترك الخمر واحتساءها في السنوات العشر الاخيرة من عمره.

رواية (دعبول) للكاتبة العراقية المهاجرة امل بورتر سرد للحياة البغدادية كما قلت في عشرينات القرن الماضي فهي تقترب بشكل من الاشكال من كتاب (لئلا ننسى. بغداد في العشرينات) لمؤلفه عباس البغدادي وكتب مقدمته الروائي الكبير عبد الرحمن منيف وصدرت طبعته الاولى عام ١٩٩٨ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

امل سيرل بورتر المولودة في بغداد عام ١٩٣٩ والمتخرجة من معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٦٠ ابنة الضابط الانكليزي سيرل بورتر المولود في بريطانيا عام ١٨٩٥ والمتوفي في بغداد عام ١٩٦٧ والمدفون فيها وقد احب العراق ولم يغادره بعد مغادرة القوات البريطانية بل عاش فيه وتزوج من امرأة عراقية اسمها (لولو البغدادية) وقد تولت ابنته امل عام ٢٠٠٩ نشر مذكراته التي يصف فيها حياته في العر

اق وقد تحديدا هذه البنت التي اضطرت الى الهجرة ومغادرة العراق تكتب رواياتها الحميمة هذه والمفعمة بحب بغداد ودجلة والعراق من منطلق ابقاء الذاكرة متوهجة وهي تضم كل هذا الخزين الوصفي والتصاويري لبغداد وكل هذه الصور الحميمة لبغداد انها شاءت تسطيرها على الورق حفظا لها من عاديات الزمن الذي لايرحم وكر الايام وضعف الذاكرة كما انها محاولة لنقل هذا الخزين والذكريات الى الاجيال المقبلة سواء الناحية المهزلة، الوطن الذي لم تعش تلك الايام ام المهاجرة والمغتربة التي فضلا على انها لم تعش تلك الايام فقد انقطعت أصرتها بالوطن بسبب المغادرة والاغتراب فاذا كان لهذه الرواية من فضل فأن لها فضل نقل صور بغداد وحفظها مؤرشفة من خلال سرد امل بورتر الذي اهدته الى يوسف جرجيس حمد وهي تعيد له من خلال سردها الروائي هذا ما سبق ان رواه لها تعيده له مكتوبا بكل متعة وحب.

لقد سبق ان جعل الفنان العراقي المعروف يوسف العاني وهو الكرخي الاصيل من محلة سوق حمادة، جعل (دعبول البلام) محور مسرحيته الشعبية الشهيرة (الشريعة) التي قدمتها فرقة المسرح الفني الحديث بداية عقد السبعينات الزاهي في الحياة العراقية المعاصرة، هذه المسرحية التي استقطبت اهتمام جمهور واسع من الناس حتى اولئك الذين لم يكن يستويهم فن المسرح بسبب تلك الشخصية الحميمة والفكهة والتلقائية دعبول البلام فجاءت الكاتبة العراقية امل بورتر لتتناوله روائيا بعد ان تناوله العاني مسرحيا وبغداد النصف الاول من القرن العشرين زاخرة بالشخصيات الفكهة المثيرة للاهتمام مثل: خلف بن امين، ابراهيم عرب وسخريته الجميلة ونوادره، في مقهاه ذاك في منطقة الكرنتينة، او عبد الحميد الشاوي، او حسون الامريكي الشخصية المثيرة للجدل، الذي سبق زمانه تصرفا وقيافة وسلوكا فضلا على دعبول البلام.

لقد افسدت علينا متعة قراءة هذه الرواية القصيرة (دعبول) الصادرة في ضمن منشورات الجمل بالمانيا عام ٢٠٠٥ هذه الاخطاء النحوية والاملائية واللغوية وكنت اتمنى لو عرضت مخطوطة الرواية على مختص باللغة كي يقيم ما اعوج نحويا لانه من العيب ان يصدر عمل كتابي وهو ضاج بالاخطاء وهذا ما يدعو الى وقفة جادة من دور النشر التي تحترم تاريخها وقارءها، فبالامس قرأت عملا مترجما جميلا للمترجم العراقي المغترب عباس المفرجي عنوانه (يوميات القراءة: تأملات قارئ شغوف في عام من القراءة) للكاتب الارجنتيني الرائع البيرتو مانغويل والصادرة طبعته الاولى عن دار المدى عام ٢٠٠٨ فضلا على رواية (شنغهاي بيبي) للكاتبة الصينية المنفلتة والمثيرة للجدل وي هيوي التي ترجمتها ظبية خميس، والصادرة طبعتها الاولى عن دار الجمل عام ٢٠٠٥ فضلا على رواية (اسمي احمر) للروائي التركي الكردي الحائز على جائزة نوبل للآداب أورهان باموك فوجدت في هذه الاعمال الكثير من الهفوات اللغوية والنحوية والاملائية، راجين ايلاء هذه الناحية الاهتمام اللازم من خلال عرض النصوص على خبير لغوي كي تأتي متعة قراءتنا لهذه الاعمال مترادفة مع جمال النص وخلوه مما يعكر متعة القارئ.

كان من المعيب ان لايجيد الكاتب او المترجم لغته، نحوها تحديدا لكن قد نتساهل– وانا لا اتساهل في هذا المضمار ابدا– فأقول قد يتساهل بعضهم محترمين امكاناته على الكتابة او الترجمة لكن من المعيب جدا على مترجم او كاتب نص ان يدفع نصه للنشر من دون عرضه على مختص باللغة وسيكون العيب اشد ان دفعت دار نشر تحترم تاريخها وقارءها، فبالامس قرأت عملا مترجما جميلا للمترجم العراقي المغترب عباس المفرجي عنوانه (يوميات القراءة: تأملات قارئ شغوف في عام من القراءة) للكاتب الارجنتيني الرائع البيرتو مانغويل والصادرة طبعته الاولى عن دار المدى عام ٢٠٠٨ فضلا على رواية (شنغهاي بيبي) للكاتبة الصينية المنفلتة والمثيرة للجدل وي هيوي التي ترجمتها ظبية خميس، والصادرة طبعتها الاولى عن دار الجمل عام ٢٠٠٥ فضلا على رواية (اسمي احمر) للروائي التركي الكردي الحائز على جائزة نوبل للآداب أورهان باموك فوجدت في هذه الاعمال الكثير من الهفوات اللغوية والنحوية والاملائية، راجين ايلاء هذه الناحية الاهتمام اللازم من خلال عرض النصوص على خبير لغوي كي تأتي متعة قراءتنا لهذه الاعمال مترادفة مع جمال النص وخلوه مما يعكر متعة القارئ.

طبول في التلال .. ومغامرات فرانك الناجي من الموت أبداً!

ترجمة / عادل العامل

كان فرانك دوليزال، كما يقول جيمس تيبتون في عرضه هذا، يقاتل لصالح بانتشو فيلا خلال الثورة المكسيكية، حين أسره بعض الجنود من قوات فينوستيانو كارانزا، و أخذوه ليواجه محاكمة مهزلة، اتهمته بـ « الخيانة العظمى ضد حكومة المكسيك الشرعية ». و قد اقتيد مع خمسة عشر أسيراً آخر إلى فسحة من الأرض، و قدموا له سيجارة أخيرة، ثم أطلقوا عليه النار. غير أنه نجا بأعجوبة، و أنقذه هنود اليوكي الذين رأوا ساقه شاخصة من خلال ركام جثث القتلى ... و كانت الساق تتحرك بصورة بطيئة. و قام متطبب يوكي بتنظيف جراح فرانك، و شفي حتى بعد إصابته بالغنغرينا.

و قد قام ابنه، فرانك و. دوليزال و ابنة ابنه، كاثرين دوليزال تايلر، بكتابة هذه المغامرة الممتعة المليئة بالخداع، و الحب، و الاخلاص، و الغش، و المعاناة و النجاة من الموت، التي يقع معظمها في الأيام المبكرة من الثورة المكسيكية، و الكثير منها في و حول الأاموس، و هي بلدة مهمة سياسياً في شمال المكسيك، قرب الساحل الباسفيكي.

و يشير العنوان، (طبول في التلال)، إلى نظام الاتصالات المرتّب المستخدَم من قبل الهنود اليوكي، و تبدأ الرواية بفرانك الشاب و هو يغادر موطنه النمسا ليجرب حظه في المكسيك. ففي النمسا، في القوات المسلحة، كان قد تعلّم جيداً، فتمكّن من عدة لغات و عرف كيف يستخدم البنادق و الجياد معاً، بصورة حسنة. و في مدينة مكسيكو سيتي أصبح شريكاً في محل لبيع الملابس.

و في يومٍ من الأيام، جاءت امرأة شابة استجابة لإعلانهم عن وجود وظيفة، « و دخلت و هيمنت على الغرفة كنموذج رفيع الطراز فارضة الاحترام و الرهبة في عيون من شاهدوها، جميلة فوق الوصف ... طويلة، ذات جلد برونزي و عينين سوداوين نفّاذتين، و كانت لها ملامح أرستقراطية التربية و الامتياز ».

فيُصبح فرانك مأخوذاً بكارا، مع أن كارا واقعة في حب مصارع ثيران شاب شعبي. و حين يقوم فرانك، للتأثير في كارا، بممارسة تدريب شكلي ليكون مصارع ثيران، فإنه يكاد يُقتل خلال ظهوره العلني الأول، لأنه ينظر إلى كارا أكثر مما إلى الثور.

و أما دون أنطونيو، أبو كارا، فأرستقراطي، متعجرف، و يمقت الأجانب.

و بالرغم من ذلك، فبعد أن ينقل دون أنطونيو الأسرة من مكسيكو سيتي إلى عزبته الكبيرة في ألاموس البعيدة (و كان دون بورفيريو قد جعله " سيد الأرض و الناس الذين حوله "، فإن فرانك النمساوي المولد يتبعها إلى هناك و سرعان ما يجد عملاً كميكانيكي في منجم لاس أنيماس للفضة. و رغم مكائد الأب لتزويج كارا من ضابط جيش عالي الرتبة، يشق فرانك طريقه بثبات إلى داخل قلبها، " و هي تتلقى منه رسائل حب عن طريق رسول هندي مع تبريكات أمها المتعاطفة ".

و نعود إلى مكسيكو سيتي، فبالرغم من الاشاعات عن الثورة، كانت العاصمة تتهيأ لاحتفال عظيم - الذكرى المئوية في عام ١٩١٠ للتحرر المكسيكي من أسبانيا، مثلما هي الحال الآن، حيث تتهيأ مكسيكو سيتي لإحتفال عظيم آخر – الذكرى المئتين في هذا العام ٢٠١٠ لتحرر المكسيك من أسبانيا.

كما أننا نسمع قصصاً عن أطباء جيدين و عن قسس طيبين و عن الهنود الطويلي المعاناة، خاصة الياكي و التاراهومارا.

و نكتشف، مثلاً، أنه حين قتل جامع ضرائب قبل سنوات قليلة في إقليم تاراهومارا، أرسل دون بورفيريو الجيش المكسيكي لينفذ أساساً مجزرة في القرية. « و قد حاول البعض الذين نجوا من الهجوم الأولي أن يلجأوا إلى كنيسة قديمة. و حين وجدهم الجنود أحرقوهم أحياءً. فقتلت أكثر من ألف هندي انتقاماً لموت جامع ضرائب واحد ».

و قد طلب بانتشو فيلا بعض الثياب العصرية في محل فرانك في مكسيكو سيتي، فتأثر كثيراً بفرانك و طلب منه لاحقاً المساعدة في الثورة. و خلال هذا الوقت كان الجيش الألماني قد اتصل بفرانك و تلقى تكليفاً بمهمة (و هو الآن كابتن دوليزال) في الجيش الألماني (و كانت الحرب العالمية الأولى على وشك أن تبدأ في أوروبا). ثم عاد فرانك إلى المكسيك و إلى بانتشو فيلا.

و راح يقاتل إلى جنب فيلا ضد أوبريغون، و بينما هو يحاول إنقاذ قطع من المدفعية عند الانسحاب، « أصاب وابل من الرصاص ساقيه، و هشم عظام الركبة. و قد سقط على وجهه في المستنقع. ثم انهار حصانه المثخن بالجراح فوقه ». و عندما شفي، تنكّر و ذهب مترنحاً إلى مكسيكو سيتي ليرى أسرته؛ إلكنه و هو يغادر المدينة ليعود إلى الحرب، ألقي القبض عليه من قبل قوات كارانزا و اقتيد ليواجه فرقة إعدام.

و عند نهاية الثورة المكسيكية، عبر فرانك الحدود إلى الولايات المتحدة، حيث وجد له عملاً في معمل تحميل لحوم. « و كانت الأمور سائرة على ما يُرام حتى اليوم الذي طالب فيه العمال بزيادة في الأجور. فتعاملت الإدارة مع المشكلة بإرسال بعض العمال إلى حرس الحدود ليقوموا بترحيلهم كأجانب غير شرعيين. و قد شاء سوء حظ فرانك أن يكون ضمن هذه المجموعة ». و قد جرى تحويل فرانك إلى المخابرات العسكرية الأميركية التي شكّت ، بسبب جراحه و مظهره و لهجته، في أنه متورط في جهود الحرب الألمانية. فأسيئت معاملته و تم تعذيبه كثيراً و بأشكال مهينة، حتى حسب معذّبوه أنه قتل أخيراً. لكن فرانك نجا من الموت، و بعد سنتين سُلّم خمسة دولارات و أطلق سراحه!.

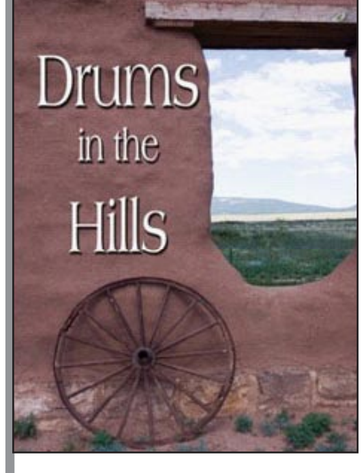

آفاق

■ سعد محمد رحيم

هيرتا مولر والديكتاتورية

"كان الموضوع المركزي في كتبي هو الديكتاتورية، لم أعرف شيئاً آخر، لم أر شيئاً آخر، وأنا مستمرة مع هذا الموضوع". هذا ما تقوله الروائية هيرتا مولر المولودة في رومانيا (١٩٥٣) من أصول ألمانية، و الحائزة على جائزة نوبل للآداب (٢٠٠٩). كان والدها في ضمن تشكيلات الحرس النازي إلا أنها اختارت أن تكون شيئاً آخر إلى جانب أولئك الذين يعانون من الفاشيات و الديكتاتوريات، ومن الظلم و القهر و الاستغلال. وبعد الحرب العالمية الثانية سيقت والدتها مع مائة شخص آخرين من الأقليات الألمانية إلى معسكرات العمل القسري (السخرة) في الاتحاد السوفياتي السابق حيث عدّ السوفيت هؤلاء مسؤولين بطريقة ما عن مآسي الحرب. وقد صوّرت مولر هذه التجربة المريرة في أحدث رواياتها (أرجوحة النَفَس/ ٢٠٠٩) مستلهمة لا تجربة والدتها، هناك، فحسب، بل ما حكاه لها الشاعر أوسكار باستيور الذي أمضى في تلك المعسكرات خمس سنين.

في المرحلة التي سبقت مغادرتها رومانيا وإلى الأبد (١٩٨٧) كانت حذرة، تكتب بلغة متكتمة، نصف مواربة.. كان عليها أن تراوغ الرقيب وأن تخدعه من غير أن تقع في محظورها الخاص: ممالاة الديكتاتورية في عهد تشاوتشيسكو. وطُردت من أول وظيفة لها لأنها رفضت التعاون مع أجهزة الأمن الرومانية في أن تكون مخبرة سرية لها. وحين أصدرت كتابها الأول في رومانيا، وفيه تتحدث عن بؤس حياة الفلاحين في القرى ومنها قريتها التي ولدت وعاشت فيها فترة طفولتها وشبابها، قالوا لها أنها تبصق في الحساء.

تكلمت في أعمالها عن القسوة و القحط الروحي و الخواء الوجودي، عن وجود الإنسان المقلق، غير الآمن من غير سند أو حماية. وفي رأيها أن الديكتاتوريات تسلبك أشياء لا تعوّض.. إن كلمات مثل الصداقة و الحب يتبدل معناها مع خراب الروح: "فحينما تُستنزف معنوياً يستحيل أن تحتفظ بتلك العلاقات سليمة مع الآخرين".

عانت من غربة ذات أبعاد مركبة.. فمن جهة كانت الأقلية التي تنتمي إليها مضطهدة ومهمشة، ومن جهة أخرى لمّا تركت قريتها إلى المدينة لدراسة الأدب المقارن أحست بنبذ مجتمع المدينة لها كونها قروية. ومن جهة ثالثة خبرت محنتها مع أبناء موطنها بالولادة (رومانيا) في ظل ديكتاتورية تشاوتشيسكو. ولهذا شعرت دائماً بأنها الآخر، المقصي، وغير الموثوق فيه، والمهدد بالاعتقال في أية لحظة. تقول: "لستُ أنت من تحدد نفسك كمنشق، بل النظام هو من يصنّفك ويختار لك هذه الصفة، فتصير كذلك". ومثل هذا الجو المرعب والقاتم يقترب من ذاك الذي صوّره كافكا في رواياته. ومن هنا كانت الموضوعات الأثيرة التي عالجتها مولر في أعمالها السردية هي الغربة و الهوية و الاقتلاع وامتهان الكرامة والخوف.

درست بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٦ اللغتين و الأدبين الألماني و الروماني بجامعة بتيميشورا.. كانت الألمانية هي لغتها الأم فيما تعلمت الرومانية لاحقاً وهي ابنة الخامسة عشرة.. وشعرت كم أن الرومانية تتوافق مع مزاجها، لاسيما في تسمية أشياء الطبيعة كما عايشتها ونظرت إليها في قريتها وهي مستوحدة تتأمل وتتفكر في صورة الكون أمامها. وبحسب تعبيرها فهي حين تكتب تحضر الصورة الرومانية خلف الكلمة الألمانية. لكنها من جانب آخر تعترف أنها لا تثق باللغة، وحين تُسأل عن سبب ارتيابها بها تجيب بسؤال: "ولماذا الاطمئنان إليها؟". وتشير إلى فترة الديكتاتورية التي "جسّدت اللغة أفضلَ وسيلة لخداع العالم.. حين تصمت يصعب عليك أن تكذب. بالتالي يتم الارتياب في الصمت أكثر من الكذب".

واليوم، بعد انهيار الديكتاتورية، ما تزال مولر تشكو من استمرار سريان سموم الديكتاتورية في البلاد، تقول: "إنهم يتظاهرون في رومانيا بأن الديكتاتورية قد اختفت في الهواء، لأن البلاد كلها تعاني فقدان ذاكرة جماعياً". ولهذا انتشر الفساد وانعدمت العدالة، وبهذا الصدد تكتب عن تلك المشاهد السريالية بين الجناة و الضحايا:

"يحصل منشق سابق على وظيفة في الخدمة العامة، ويتم استدعاؤه لحلف القسم. وحين يفتح الباب، يجد أن محقق الجهات الأمنية السابق يقف هناك كي يسمع قسمه على دستور ديمقراطي"!!.

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

نائب رئيس التحرير | عدنان حسين تحرير | علاء المفرجي الاخراج الفني | مصطفى التميمي التصحيح اللغوي | مصطفى محمد حامد

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون